جامعـــة 08 ماي 1945– قالمـــة

كلية العلوم الحقوق و العلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

رقم التسجيل:.....

الرقم التسلسلي: .....

إشكالية الثقافة و الفعل الجماعي في العلاقات الدولية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001

مذكرة مكملة للحصول على شهادة الماستر في العلوم السياسية

تخصص: دراسات أمنية

إعداد الطالب:

لعمامرة حسين

إشـــراف الأستـــاذ:

قســوم سليم

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم و اللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
بوستي توفيق	أستاذ مساعد	جامعة 08 ماي 1945 - قالمة	رئيسا
قسوم سليم	أستاذ مساعد	جامعة 08 ماي 1945 - قالمة	مشرفا و مقررا
دندان عبد الغاني	أستاذ مساعد	جامعة 08 ماي 1945 - قالمة	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 2016-2017

شكر

نشكر الله عزوجل على منه وفضله الذى يسر لنا إنجاز هذه المذكرة وفقا لقوله تعالى« ولإن شكرتم لأزيدنكم »

أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف قسوم سليم الذى لم يبخل علينا بالنصايح والتوجيهات القيمة ولم يمل من كثرة الاسيلة

وكما أتقدم بالشكر الخالص إلى لجنة المناقشة للأستاذين الكريمين دندان عبد الغانى وبوستى توفيق و إلى كافة أساتذة قسم العلوم السياسية بجامعة قالمة

إهداء

أهدى ثمرة هذا العمل إلى سندي و سر نجاحي ...

إلى من يُدَعِّمُنَا من دون مقابل ...

إلى الاستثناء في هذا العالم الجشع ...

....أهديها إلى عمي عيسى.

* ثم.. إلى الوالدين الكريمين سبب وجودي في هذه الحياة... أطال الله في عمرهما...

وإلى إخوتي بأزواجهم وأولادهم

...إلى صهيب ولطفي ..

* أهديها إلى عنوان المروءة ...

إلى روح خالي محمد الطاهرة رحمه الله *

خطة البحث

خطَّة البحث

مقـدمة

الفصل الأول:

التأصيل النظري لدور العامل الثقافي في الْفِعْل الجماعي

المبحث الأول: النظرية البنائية وتأثير الأفكار.

المطلب الأول: البناء الاجتماعي للسياسة العالمية.

المطلب الثاني: البنائية وتأثير الهوية والمعايير.

المبحث الثاني: الدراسات الثقافية و دور الثقافة في العالم الاجتماعي.

المطلب الأول: تعريف مفهوم الثقافة.

المطلب الثاني: المقاربة الأنثروبولوجية للثقافة.

الفصل الثاني:

الْفِعْل الجماعي: دراسة في تَشَكُّلِه ومظاهره

المبحث الأول: الفعل الجماعي : دراسة في تَشَكُّلِه.

المطلب الأول: فِعْل الْخِطَاب ودوره في تَشَكُّلِ الفِعْل الجماعي.

المطلب الثاني: الفهم المشترك لبناء الفعل الجماعي.

المبحث الثاني: البعد الثقافي كمحدد للفعل الجماعي في الاتحاد الأوروبي.

المطلب الأول: أثر البعد الثقافي في تَكَتُّلِ الدول الأوروبية.

المطلب الثاني: الرفض الأوروبي لانضمام تركيا للاتحاد.

المبحث الثالث: البعد الثقافي كمحدد للفعل الجماعي في الأحلاف.

المطلب الأول: حلف شمال الأطلسي من منظار ثقافي.

المطلب الثاني: القومية العربية كمحدد للحلف العربي.

الفصل الثالث:

محاربة الإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 "دراسة في حرب العراق"

المبحث الأول: تأثير النظام الدولي الجديد على العلاقات بين الدول.

المطلب الأول: النظام الدولي الجديد.

المطلب الثاني: تأثيرات أحداث 11 سبتمبر على النظام الدولي.

المبحث الثاني: ألمانيا ورفضها لحرب العراق.

المطلب الأول: الهوية الألمانية الجديدة.

المطلب الثاني: الرفض الالماني لحرب العراق.

المبحث الثالث: تأييد بريطانيا لحرب العراق.

المطلب الأول: الهوية البريطانية-الاطلسية.

المطلب الثاني: مشاركة بريطانيا لحرب العراق.

خاتمة

قائمة المراجع

فهرس الموضوعات

مقدمة

1-مقدمـة:

أدت نهاية الحرب الباردة إلى حدوث تغيرات جوهرية في العلاقات الدولية، مستالعديد من المستوياتكالفواعل، والقضايا الدولية، والمفاهيم؛فعلى مستوى النظام الدولي تجلى التغير في بِنْيتَهِ حين بشر الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب عَقِبَ انتهاء حرب الخليج الثانية بميلاد نظام عالمي جديد،مُعْلِنًابذلك انتهاء الثنائية القطبية.

هذا التَّغَيّر الاستراتيجي –زوال الثنائية القطبية– على مستوى النسق الدوليأَثَّرَبِدَوْرِهِ في جملة من الفهوم والمفاهيم الأكاديمية في الحقل المعرفي للعلاقات الدولية،أين برزت العديد من المفاهيم التي أخذت حَيِّزا من الْجِدالِ السياسي والأكاديمي حولها،كصراع الحضارات، والهوية، ونهاية التاريخ، والسلام الديمقراطي.

هذا، ولِتَجِدَ تِلْكَالْمَفَاهِيممن أحداث الحادي عشر سبتمبر2001مُسْتَنَدًا تَتَّكِئُ عليه،فقد تم استدعاء أفكار «صمويل هينتنغتون" SamuelHuntingtonلمحاولةتفسيرالاعتداءكَوْنُهُأَحْدَثَأزمة عالمية ذات أبعاد حضارية وثقافية، كما أخذت التفسيرات البنائية حيزا كبيرا من الاهتمام كونها تُعْطِيأهميةكبربللعوامل والمتغيرات الثقافية،وتبحث في تأثيرات الهوية على السياسة العالمية،بإضافة إلى الدراسات الثقافية التيشكلت على صعيد آخر محورا أكاديميا هاما في سعيها لسبر أغوار السياسات العالمية من منطلق ثقافي،ونتيجةلتأثيرهافقد اعتبرها الفيلسوف "ألان تورين" Alain Touraine على أنها البرادايمالجديد من أجل فهم عالم اليوم.

وفي ذات السياق،يعدشَكْلَالاعتداء، حدثا بارزا على تغير طبيعة الوحدات الفاعلة في النظام الدولي، وكذاوفي تحديد القضايا ذات الأولوية في السياسة الدولية على حد سواء، حيث قامت بهفَوَاعِلُمِنْ غَيْرِ الدول(جماعات إرهابية)، كما أن محاربة

الإرهابباتتْأَوْلَوِيَّةًقَضَايَا القرن الواحد والعشرين، التي يجب التَّعَامُلَ معه بحسم كَوْنهاتُهَدِّدُ السلم والأمن الدوليين،بالإضافة إلى جعل الخطاب السياسي العالمي حولها يتسم بنوع من التطرف خصوصا عندما قررت الإدارة الأمريكية برئاسة جورج بوش الابن الحرب على الإرهاب والدعوة إلى التحالف ضده وفق منطق من ليس معنا فهو ضِدّنَا.

على أرض الواقع، تم بِالْفِعْلِ غزو كل من أفغانستان والعراق في إطار هذه الدعوة (الحرب على الإرهاب)، غير أنه وعلى عكس حرب أفغانستان،شكلت الحرب على العراقنقطة فارقة حينها في العلاقات بين الدول عموما وعبر الأطلسي بشكل خاص، عندما أَحَجَمَتْ بعض الدول عن المشاركة في هذا التحالف (تحالف الراغبين) ضمن الحرب على العراق مبرزةبذلك التأثيرات والحدود التي تثيرهاالهوية والثقافة في السلوك السياسي الدولي.

2- أهمية الدراسة :

إن الاهتمام بمثل هذا الموضوع له أهمية علمية وأخرى عملية:

- **الأهمية العلمية:**

تشكل هذه الدراسة وجها هاما من التساؤلات والفهوم التي تثيرها المسائل الثقافية ضمن الحقل المعرفي للعلاقات الدولية، محاولة بذلكتقديم تفسيرات حول أنماطالْفِعْل الجماعي للدول، وكيفيةتأثير المعايير القيمية والمتغيرات الثقافية في السلوك الدولي للوحدات، ما يجعل الدول تسعى إلى التحالف مع بعضها البعض أو تتكفئ على ذاتها.

- **الأهمية العملية:**

تتمثل الأهمية العملية لهذه الدراسة في كونها تقدم لصناع القرار والباحثين على حد سواء، أحد أهم الأدوات الفكرية والمعرفية لفهم عالم اليوم، والمتمثلة في الأبعاد الثقافية والمعيارية–القيمية في سبيل الفهم الصحيح للسلوكيات الدولية، بغية بناء سياسات عقلانية ورشيدة وبعيدة عن سوء الإدراك،كما أنها تسهم في جسر الفراغ المعرفي الحاصل في هذا النوع من الدراساتضمن حقل العلاقات الدولية على مستوى مكتباتنا الجامعية.

3- أسباب اختيار الموضوع:

لقد جاء اهتمامنا بهذا الموضوع لمجموعة من الأسباب، نلخصها في أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

- **الأسباب ذاتية:**

تعزى الأسباب الذاتية لاختيارنا هذا الموضوع، إلى اهتمامنا الخاص بمعرفة وفهم موضوعصراع الحضارات الذي أخذ جدلا أكاديميا واسعا في تسعينيات القرن الماضي، وأعيد إحياؤه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكذا رغبتنا الإلمام بمدى تأثير الهويات والثقافات المختلفة وأداورها في تحديد سلوكيات الدول.

- **الأسباب موضوعية:**

يعتبر هذا المجال من الأبحاث والدراساتحديث نسبيا ضمن العلاقات الدولية، أين يعكف اليوم العديد من الأكاديميين والسياسيينعلى البحث في أبعاده ومتغيراته وكذا آثاره على سلوكيات وتوجهات الوحدات في السياسة العالمية المعاصرة.فالبحث في الابعاد الثقافية وانعكاساتها على السياسة العالمية اليوم أصبح ضرورة يجب القيام بها.

4- أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، نوردها كما يلي:

- فهم طبيعة الفعل الجماعي للدولوكيف يتم بنائه عن طريق الخطاب؛
- تفسيرسلوك الدول الجماعي وعلاقتهبمتغير الهوية؛
- الكشف عن تأثير العوامل الثقافية والمعيارية في العلاقات الدولية.

5- مجال الدراسة:

إن موضوع إشكالية الثقافة والفعل الجماعي في العلاقات الدولية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 يمكن معالجته عبرثلاثة مجالاتمختلفة، مشكلة بذلك حدوده الظرفية – الزمانية والمكانية– والمعرفية.

- **المجال المعرفي:**

يتحدد موضوع الدراسة من خلال متغيرين وهما: الثقافةوالفعل الجماعي للدول أين تتقاطع هذه الدراسة عبر مجالين مهمين للبحث: نظرية العلاقات الدولية ضمن الدور الذي تؤديه النظرية البنائية خصوصا على هذا المستوى من المواضيع، وكذاحقل الدراسات الأمنية، الذي يبحث في علاقات الدول الأمنية من تحالفات وغيرها.

- **المجال المكاني:**

ضمن هذه الدراسة، لا يمكن تحديدالمعالمالجغرافيةبدقة،فهو يعالج أفعال الدول على اختلاف جغرافيتها، فقط يمكننا تحديد بعض الملامح خاصة بعد أحداث 11سبتمبر وذلك من خلال تحديد **الغرب** لطبيعة التهديد وحصره في الإرهاب الاسلامي، إشارة منه إلى بعض **الدول المسلمة.**

- **المجال الزماني:**

تستعرض الدراسة إطارا زمنيا ممتدا من نهاية الحرب الباردة 1990 إلى غزو العراق 2003، مع الرجوع أحيانا لمراحل سابقة، وذلك لما تستدعيه بعض المقارنات.

6- إشكالية الدراسة:

تتمحور الاشكالية الجوهريةلهذه الدراسة حول محاولة فهم وتفكيك دور الأبعاد الثقافية و القيمية فيالْفِعْلَالجماعي للدول، فيظِلّالتحول الذي شهدته بنية النظام الدولي الاستراتيجية (تَحَوُّلِهِ الى نظام احادي القطبية) والمعرفية (النزعة المابعد وضعية- المعيارية)وبناء على ذلك فقد تم طرح الإشكالية كالتالي:

" كيف ساهمت الأبعاد الثقافية في تفسير أنماطالْفِعْلَالجماعي بين الدول بعدأحداث الحادي عشر من سبتمبر2001؟ "

وتندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- كيف تُؤَثِّرُ الهوية في توجيه وتحديد سلوكيات الدول ؟
- ماهي العناصر التي تُشَكِّلُ وتبني الْفِعْلَ الجماعي للدول ؟
- كيف أَثَّرت أحداث الحادي عشر من سبتمبر وحرب العراق خصوصا على العلاقات ما بين الدول؟

7- فرضيات الدراسة:

نستند في محاولتنا لمعالجة الاشكالية المطروحة إلى الفرضيات التالية:

- كلما كانت الأبعاد الثقافية متباينة بين الوحدات، كلما صَعُبَ تشكيلهاللأفعالالجماعية؛
- تعملالهوية على تحديد مصالح الدول، ومن خلالها تتفاعل مع بيئة النظام الدولي؛

- تظل نظريات العلاقات الدولية عاجزة عن تفسير أنماط سلوك الدولمن دون الاعتماد على الأبعاد الثقافية.

8- مناهج الدراسة:

طالما أن استخدام طريقة واحدة، غير كافية للإجابة عن "كيف ولماذا"، ولأن معظم مناهج البحث لديها قصور ومزايا في آن واحد، فإن ذلك يستدعي استخدام أكثر من طريقة، أو منهج واحد،للاستفادة من ميزات هاته المناهجمُجْتَمعَةً، خاصة في دراسات العلاقات الدولية، وعليه فقد استخدمنا المناهج التالية:

- **منهج دراسة حالة:**

فهو يساعدنا على ابراز مدى توافق تفسيرات الإطار النظري مع الواقع العملي اين استخدمنا دراسة حالة العراق، حيث برزت جليا الابعاد الثقافية كمتغير مهم لفهم سلوكيات الدول.

- **المنهج التاريخي المقارن:**

تم استخدامه من خلال التطرق، لجوانب الاختلاف بين سياسة بريطانيا وألمانيا اتجاه الولايات المتحدة الامريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وإعلان الحرب على العراق سنة 2003.

- **مقاربة المسح النظري:**

تُوَظِّفُ هذه الدراسة "مقاربة المسح النظري" التي تُمَكِّنُنَا من فهم مختلف النظريات و ذلك بفحص وتحليل نَظْرَتِهَا للأبعاد الثقافية والقيمية ودورها في السياسة العالمية، وعليه تقود عملية المسح بدورها إلى تفضيل مقاربة نظرية عن أخرى. إن المسح النظري للأبعاد الثقافية يُعَدُّ مرحلة مهمة للبحثفي تحديد الإطار المرجعي المناسب،وبناء على ذلك

وظفناالنظرية البنائية و المقاربة الثقافية كأفضل إطار نظري مفسر للظاهرة،مَوْضُوعُالدراسة.

- **تقنية تحليل المضمون:**

تم توظيفنا لتقنية تحليل المضمون من خلال تحليل خطابات صناع القرار على غرار خطابات كل من بوش وتوني بلير وشرودر.

9- الإطار النظري للدراسة:

تقتضي كل دراسة أن تستند إلى المقارباتالنظرية، فهي بمثابة بوصلة الباحث التي تحدد له وجهته المعرفية، شرط أن تكون ملائمة ومناسبة لتفسير الظاهرة محل الدراسة، بِنَاءًا على ذلك فقد وظفنا في دراستنا مقاربتين.

أولا: المقاربةالبنائية: فهي المنظار الملائم التي حمل قاموسها النظري مفاهيم القيم، و الهوية، والمعايير، ونظرتها المغايرة للعالم الاجتماعي على أنه مبني اجتماعيا وليس معطى مسبقا، واهتمامها الكبير في تأثير الافكار في العلاقات الدولية.

ثانيا : الدراسات الثقافية:اعتمدنا على المقاربة الثقافية لأنها تولي أهمية كبرى للتباينات الثقافية ودورها في تشكيل هوية الافراد والدول، فالأنماط الثقافية هي القاعدة المعرفية التي انطلق منها صمويل هينتنغتون في أطروحته صدام الحضارات بأن العالم منقسم إلى مناطق ثقافية مختلفة.

10- أدبيات الدراسة :

اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من البحوث، ومقالات الباحثين في مجال العلاقات الدولية، نذكر أبرزها:

❖ أولا: الدراسات العربية:

- رسالة ماجستير في الدراسات المغاربية للباحثة فاطمة حموتة بعنوان:

"**البعد الثقافي في السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي تجاه منطقة المغرب العربي بعد الحرب الباردة**"، والتي ركزت على تأثير الابعاد الثقافية كمحدد لعلاقة الاتحاد الاوروبي والدول المغاربية بعد انتهاء الحرب الباردة.

- مقالة للباحث محمد شلبي بعنوان:

"**دور الثقافة في هندسة العلاقات الدولية**"،حيث تطرق الباحث إلى أهمية الثقافة ودورها في تشكيل الواقع الدولي مستندا في دراسته على التحليل البنائي.

- مقالة للباحث أحمد علي سالم بعنوان:

"**القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي**"، أين أبرز الباحث بأن عالم مابعد الحرب الباردة قدم تَحَدِّيًا للنظرية الواقعية وعجزها عن تفسير الظواهر المتعلقة بالأبعاد الثقافية.

- مقالة للباحث حسن الحاج علي حمد بعنوان:

"**العالم المصنوع : دراسة في البناء الاجتماعي للسياسة العالمية**"،حيث أسهب الباحث ي الحديث عن البناء الاجتماعي للسياسة الدولية، كما – أعتقد – أنه أفضل من قدم شرحا حول النظرية البنائية .

❖ ثانيا: الدراسات الأجنبية:

- مقالة للباحث Dirk Nabers، بعنوان:

"Culture And Collective Action-Japan ,Germany And United States After September 11,2001"

تطرق فيها الباحث إلى مسألة" التعاون الأمني الدولي" في العلاقات الدولية بعد أحداث 11سبتمبر، مؤكدا بأن الفعل الجماعي لايُفْهَمُ إلا عبر تحليل الافكار والمعايير والهويات، موضحا ذلك باختلاف علاقة الولايات المتحدة الامريكية واليابان من جهة، وألمانيا والولايات المتحدة الامريكية من جهة أخرى، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

11- صعوبات الدراسة:

من بين الصعوبات التي واجهت هذه الدراسة:

- قلة المراجع في تخصص العلاقات الدولية التي تبحث في البعد الثقافي باستثناء المدخل البنائي،كما أن كل الدراسات تعيد نفس أفكر "الكسندر فندت" AlexanderWendtما يجعل الباحث في مشكلة تكرار الأفكار.
- غياب مراجع تتحدث بدقة عن المقاربة الثقافية في حقل العلاقات الدوليةماصَعَّبَ على الباحث تحديدها، فاجتهد في فحص الكثير من المراجع في العلوم الاجتماعية محاولا تكييفها بما يتلاءم مع تخصص العلاقات الدولية، وهذا يتطلب وقتا وجهدا إضافيين.

12- تفصيل الدراسة:

لمعالجة الإشكالية المطروحة في هذا الموضوع، قمنا بتقسيمالدراسة إلىثلاثة فصول: سعينا ضمن الفصل الأول إلى انئُوَصِّلَنَظَرِيًّالدور العامل الثقافي في الفعل الجماعي، فارتكزت دراستنَا في هذا الاطار على النظرية البنائية والمقاربة الثقافية، لِمَا لهما من قدرة تفسيرية لدور الأبعاد الثقافية وتوجيهها لسلوك الدول.

أما الفصل الثاني، فقد خصصناه لِفَهْمِالفعل الجماعي، كيف يتم بِنَاءهُ و تَشَكُّلِهِعبر فعل الخطاب و الفهم المشترك بين الدول، كذلك تم توضيح كيف ان الابعاد الثقافية هي

محددة للتكتلات السياسية كالاتحاد الاوروبي، ورفضها انضمام تركيا لنفس الاسباب كما يفحص ايضا تأثير الابعاد الثقافية على تشكل الأحلاف العسكرية موضحين ذلك بمثالين : منظمة حلف شمال الاطلسي، والحلف العربي المنبثق عن الجامعة العربية.

ويأتي الفصل الثالث ليبحث في تباين المواقف حول محاربة الارهاب خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر، أين أقدمت بريطانيا على التحالف مع الولايات المتحدة الامريكية في حربها ضد العراق وذلك لخصوصية علاقتها عبر الأطلسية، في حين أحجمت ألمانيا عن ذلك بسبب اكتسابها لهوية جديدة بعد الحرب العالمية الثانية.

الفصل الأول

التأصيل النظري لدور العامل الثقافي في الفعل الجماعي

المبحث الأول : النظرية البنائية وتأثير الأفكار

إذا كانت النظريات الوضعية في العلاقات الدولية أهملت المعطى الثقافي والهوياتي في تفسيرها للسياسة الدولية واهتمامها فقط بالجوانب المادية، فإن العقد الأخير من القرن العشرين أعاد بعث أهمية دور العامل الثقافي في صياغة السياسة الدولية وتفسيرها.

المطلب الأول: البناء الاجتماعي للسياسة العالمية

أُسْتُخدم مصطلح البنائية Constructuvisme بعدة أوصاف مختلفة، حيث يختلف توظيفه من حقل معرفي لآخر، فقد تناوله في علم الاجتماع كل من "بيرجر" و"لكمان" و"جيدنز"، وفي علم النفس "جين بياجت" وفي التاريخ "هايدن وايت"، وفي الأنثروبولوجي "بينيدكت أندرسون".[1]

أما في تخصص العلاقات الدولية فقد أُسْتُعمل المصطلح لأول مرة من طرف "نيكولاس أوناف" Nicolas Onuf في كتابه عَالَمٌ من صُنِعْنَا ولكنها لم ترتقي كمقاربة جديدة إلا مع إصدار "ألكسدنر فندت" Alexander Wendt مقالته الشهيرة بعنوان: "الفوضوية ما تَصْنَعُهُ الدول 1992"، وقد تزامن هذا العمل مع نشر كل من "فردريك كراتوشفيل" Kratochwil Friedrich و "جون راغي" عملهما حول التذاتانية، وهي الأعمال التي أسست للطرح البنائي وألهمت الكثير من الباحثين.[2]

فهي–البنائية– مقاربة مميزة للعلاقات الدولية ترى بأن الاعتماد فقط على الاعتبارات المادية يقدم تفسيرا مختزلا وغير مقنعا للسياسة العالمية، لذا فهي تتساءل وتبحث في الكثير من القضايا التي لم تحظى باهتمام النظريات الوضعية أبرزها: حول العلاقة بين الفاعل والْبِنْيَة، ومدى قدرة المعايير والهويات في توجيه سلوك الدول

---

[1] حسن الحاج علي أحمد،" العالم المصنوع: دراسة في البناء الاجتماعي للسياسة العالمية،"مجلة عالم الفكر 4 المجلد33 (2005):166.

[2] سيد أحمد قوجيلي، *الدراسات الأمنية النقدية*(الأردن: المركز العلمي للدراسات السياسية،2013)،69.

وسياستها، وفي تَشَكُّل العالم الاجتماعي بما فيه السياسة العالمية، هاته الأخيرة ما نسعى لِفَحَصَهَا.

لقد تأثرت مداخل البناء الاجتماعي Social Constructionism بعلم الاجتماع وخاصة بطروحات "إيميل دوركايم"، الذي اهتم كثيرا لدور الأفكار في الحياة الاجتماعية وكيف يُمْكِنُهَا تلك–الأفكار–التي يتبناها الأفراد أن تكون مسببة اجتماعيا، ويرى بأن الأنماط الاجتماعية لنظام ما تتأثر باختلاف الروابط الاجتماعية للجماعة التي ينتمي إليها الفرد مؤكدا بأن الحقائق الاجتماعية تتشكل بتجميع الحقائق الفردية عبر التفاعل الاجتماعي.[1]

وبَرَزَ جَلِيًّا هذا –التأثر– في منتصف الثمانينات من القرن الماضي مع كتابات "أنتوني غدنز" سنة 1984، التي تمحورت حول ما أسماه بعملية البناء constructuration theory و يَقْصِدُ بذلك أَنَّ ما يميز العلاقة بين الفرد والمجتمع هو التأثير المتبادل بَيْنَهُمَا حيث الفرد يؤثر في بِناء المجتمع والْبِنَاءُ كذلك يؤثر ويُوَجِّهُ سلوك الفرد ضمن عملية تتسم بالدينامية، أَمَّا الآلية التي تَحْكُمُ العلاقة وتَضْبُطَهَا هي القواعد، والأعراف والرموز ومختلف المؤسسات التي يبنيها الأفراد، فالبناء الاجتماعي حسبه هو نتاج عن ممارسات الفاعلين التي بدورها تتأثر بهذا البِناء.[2]

و يُقْصَدُ بعملية الْبِنَاء :

"أن تَبْنِيَ شَيْئًا، فهذا فِعْلٌ يُحْضِرُ إلى الْوُجُودِ مَوْضُوعًا أو شَيْئًا لَنْ يَكُونَ له وَجودٌ لولا ذَلِكَ الفِعْلٌ ".[3]

---

[1] حسن الحاج ، العالم المصنوع ، 166.

[2] خالد موسى المصري ، *مدخل الى نظرية العلاقات الدولية*(سورية : دار نينوى،2014)،205.

[3] تيم دان وآخرون، *نظريات العلاقات الدولية : التخصص والتنوع* (لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016)،433.

فمُعْظَم الأشياء في العلاقات الدولية تنشئ بفضل أفعال من صُنْعِ الإنسان، حيث تتكون في سياق ثقافي، وتاريخي، وسياسي للمعنى وهي حقائق اجتماعية (social facts) توجد بسبب القيمة والمعنى التي تضفيان لها وليست حقائق مادية مثل العالم الطبيعي الْمُشَكَّلِ من الأشجار، والصخور وغيرها، وعليه فإن "جون سيرل" john searle يحاج بأن الحقائق الاجتماعية تَسْتَنِدُ أسَاسًا على الاتفاق البشري الذي يتطلب وجود مؤسسات بشرية من أجل إضفاء معنى لـها وتحديدا لقيمتها، فورقة الدولار لا تتعدى كونـها مجرد ورقة عادية الشيء الذي جعلها ذات قيمة ومعنى هو الإتفاق البشري، وهذا ينطبق أيضا على الكثير من المفاهيم كالسيادة أو الحدود التي تقسم الدول فهي موجودة فقط ضمن هذا الإتفاق.[1]

هذا ما جعل من نيكولاس أوناف يركز على الْبُعْد الاجتماعي لدراسة السياسة الدولية وينطلق من أن: الكائنات البشرية اجتماعية بطبعها، وما يحدد طبيعتها –البشرية– هي العلاقات الاجتماعية التي تساهم في تَشَكُّلِنَا على الصورة التي نكون عليها، ومن خلال الأفعال والكلام نستطيع استخدام المواد الأولية الطبيعية لجعل العالم ما هو عليه.[2]

إن الْبُنَى الإجتماعية التي تُنَظِّمُ أفعالنا حسب فندت تَتَشَكَّلُ من ثلاث عناصر تَكْوِينِيَّة: المعرفة المشركة، والمصادر المادية، والممارسات.

أولا : تُعَرَّفُ الْبُنَى الاجتماعية بالمعرفة والمعاني المشتركة الناتجة عن عملية التفاعل بين الفواعل الاجتماعية.

ثانيا : تتَضَمَّنُ الْبُنَى الاجتماعية الْمَصَادِرَ المادية ولكن ما يُكْسِبْهَا معنى يكون فقط عبر الْبِنْيَة الْمُشْتَرَكَة للمعرفة(الفهم والتوقعات)، على سبيل المثال تتشابه الأوضاع

---

[1] نفس المرجع،440-441.

[2] محمد شلبي ،" دور الثقافة في هندسة العلاقات الدولية" ،المركز المغربي متعدد التخصصات للدراسات الاستراتيجية والدولية :337.
http://www.cmiesi.ma/acmiesi/file/notes/mohamed-chalabi_1.pdf

البنيوية بين القوتين العسكرية لبريطانيا وروسيا، إلا أن لِلْأُولَى معنى مختلف لدى الولايات المتحدة الأمريكية مقارنة بالقوة العسكرية الروسية.

ثالثا : توجد الْبُنَى الاجتماعية فقط في الممارسة ونقصد بذلك العملية، فالحرب الباردة انتهت فِعْلِيًّا بمجرد توقف الفواعل التصرف وفق بنية المعرفة المشتركة التي حكمت علاقات الدول الكبرى أكثر من أربعين سنة .[1]

وهذا ما يُؤَكِّدُ عليه أوناف بأنه من أجل فهم الحياة الاجتماعية أو بُغْيَة تحليلها لابد وأن نَسْتَنِدَ في مُنْطَلَقاتنا إلى القواعد، بل من الضروري التركيز عليها، فهي تُوجِهُ السلوك الإنساني وتكون له بمثابة الدليل المرشد، ومن خلالها–القواعد– يمكن أن تُصْنَع المعاني المشتركة فتُصْدِرَ: حُكْمًا يُخْبِرُ الناس ما الذي ينبغي أن يفعلوه، لذا في دِرَاسَتِهِ لِلْعِلَاقَات الدولية وتفسيره للنسق الدولي يُرَكِّزُ على تأثيرات المعاني تَصَوُّرَات الباحثين والدراسين التي يُضْفُونَهَا عليه، فالعالم حسب تعبيره من صُنْعِنَا.[2]

ويُقْصَدُ بِذَلِكَ :

> "أَنَّ النظام الدولي ليس كالنظام الشمسي، غير مَوْجُودٍ بالفطرة ولا يُشَكِّلُ نَفْسهُ بنَفَسِه كينونته مرهونة بكينونة البشر، إِنَّ النظام الدولي من اختراع الإنسان فهو نِتَاجٌ للفكر الإنساني الصرف مجموعة من الأفكار، بِنَاءٌ فكري، نِظَامٌ للقيم والمعايير التي نُظِّمَتْ من طرف بني البشر في سياق زمكاني مُتَّصِلٍ ، وإذا تغيرت الأفكار التي تدخل في العلاقات الدولية القائمة فإِنَّ النظام نَفْسه سيتغير مَعهَا كَذَلِكَ".[3]

---

[1] قوجيلي، الدراسات الأمنية النقدية،71.

[2] محمد شلبي ، دور الثقافة،338.

[3] جندلي عبد الناصر، *التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية* ،(الجزائر: دار الخلدونية،2007)،325.

إن الفكرة الجوهرية التي يقوم عليها الطرح الْبِنَائِي هي فكرة البناء الاجتماعي، وهذا يتضح جليا مع تعريف "امانويل ادلر" Immanuel adler الذي يعرفها على أَنّهَا: نظرية اجتماعية تَبْحَثُ في كيفية تَحْدِيد الواقع الاجتماعي وتَشَكُّلِهِ من خلال دور المعرفة والفاعل وتهدف لفهم وتفكيك العلاقة بين مجموعة التفاعلات الفردية بين الفاعل والبيئة الاجتماعية، لِذَا فإن إدلر يَتَّفِق مع أغلبية البنائين بأن العالم من حولنا ليس مُعْطَى مسبق موجود في مَعزِلٍ عن تأثيرات الفاعلين، ولا بحتمية أثاره في سلوك الفواعل، بل يرى بأن العالم عبارة عن عملية تَتَّسِمُ بالبناء الدائم والمستمر الناتج عن التفاعل بين البيئة والفاعل.(1)

هذا ما أشار إليه فندت بأن التاريخ الدولي مر بمراحل متعددة، إذ شَهِدَ النسق الدولي عِدَّةَ ثقافات مختلفة أَثْرَتْ في سلوك الفواعل، كانت الدول تعيش في ثقافة هوبزية أين كان منطق الفوضى "إمَّا قاتلا أو مقتولا"، ولكن استطاعت الدول الأوربية في القرن السابع عشر أن تُقَلِّصَ من حِدَّةِ الصراع و تُقَيِّدَهُ بفكرتي الاعتراف المتبادل والسيادة ضِمْنَ منطق الفوضى اللوكية، ومع نهاية القرن العشرين شَهِدَ النسق الدولي تَوَجُّهَا نحو الثقافة الكانتية للأمن الجماعي.(2)

إنَّ السياسة العالمية ليست بالقانون الثابت الأبدي وإنما هي بناء تذاتاني تتأثر بدور الأفكار والقواعد المشتركة، حيث تؤطرها وتنحو بها نحو سياق معين، و اتضح ذلك مع نِهَايَة الحرب الباردة أين أثرت أفكار " نِهَايَةُ التَّارِيخِ" و" صِدَامٌ الحضارات" و"العولمة" في السلوك الأمريكي، وسعت لجعل النسق الدولي يتقولب وفْقَ تصورات وثقافة النمط الأمريكي، من خِلَال إضْفَاء الطابع الأمريكي على المؤسسات

---

[1] خالد موسى المصري، "النظرية البنائية في العلاقات الدولية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية المجلد30 العدد02(2014):320.

[2] ألسكندر ونت، *النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية* ، تر. عبد الله جبر صالح العتيبي(السعودية: جامعة الملك سعود،2006)،431.

الدولية والضغط عليها من أجل إعادة تشكيل النسق الدولي بما يتناسب مع الرؤية الأمريكية من خلال السيطرة على مُكَوِّنَاتِهِ المختلفة: المجال الأمني، والاقتصادي، والسياسي والثقافي[1]

لقد ساهمت النظرية البنائية في تقديم البعد الثقافي كمتغير أساسي لفهم أنماط سلوكات الدول ، هذا –البعد– الذي أُهْمِلَ في نظريات العلاقات الدولية التي سادت في منتصف الخمسينات أثناء الحرب الباردة والتي ركزت في تفسيراتها فقط على الجانب المادي.

[1] شلبي، دور الثقافة ،346.

المطلب الثاني : البنائية وتأثير الهوية والمعايير

لقد تميزت المقاربة البنائية عن غيرها من المقاربات الأخرى، اهتمامها الجلي بالجانب القيمي فركزت على دور الثقافة و القيم و الأفكار في العلاقات الدولية، وتتناول بالتحليل قضايا الهويات والمصالح والأفضليات والمثل Norms وعليه فهي تمنحنا كما يرى Tedhopf "تيدهوف":

"فَهْمًا بديلا لعدد من القضايا المركزية في نظرية العلاقات الدولية كمعنى الفوضى وميزان القوى والعلاقة بين هوية الدولة والمصلحة وتطوير القوة وفُرَص التغيير في السياسة العالمية".[1]

لذا فإن البنائية تَعْتَبِرُ مَفْهُومَي: الهوية Identity والمعايير Norms من أهم المواضيع التي يجب الاهتمام بتحليلها، فتحديد المرء لماهيته بالنسبة لهم أولوية :

"فالبنائيون و استنادا الى ما تمدهم به –الإستبصارات السوسيولوجية– فإنهم يُجَادِلُونَ بأن السؤال : من أنا ؟ هو أسبق منطقيا وفلسفيا من السؤال "ماذا أريد ان أفعل" ؟ .[2]

كما أن صيغة السؤال حسب "صمويل هينتغتون" أُسْتبدل مِنْ : "إلى أي جانب أَنْتَ ؟" وحل محله سؤال : "مَنْ أنت ؟"، فحسبه أن سنوات التسعينات شهدت انفجار أزمة هوية كونية أينما تنظر تجد الناس يتساءلون: " من نحن ؟"،" لمن ننتمي ؟"، "من هو الآخر؟" وعلى كل دولة أن تجد الإجابة، وإجابتها تتمحور حول هويتها الثقافية التي تحدد لها أصدقائها وأعدائها في السياسة العالمية.[3]

إن مفهوم الهوية من أهم الركائز المفاهيمية المكونة للنظرية البنائية، فهي ذات أهمية لعدة اعتبارات، أنها تساعد الفاعل على تحديد المصلحة ، كما تساهم في مهمة

---

[1] سليم قسوم،" الاتجاهات الجديدة في الدراسات الامنية: دراسة في تطور مفهوم الامن عبر منظارات العلاقات الدولية"(رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر3، 2010)،125.

[2] محمد الطاهر عديلة، "تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية: دراسة في المنطلقات والأسس"(أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر باتنة،2014)،355.

[3] صامويل هنتنغتون ، *صدام الحضارات*، تر. طلعت الشايب (مصر: مكتبة الأسرة،2014)،203-204

صناعة السياسة العامة للدولة، يفترض البنائيون أن الهوية تمنح أو تحدد للفاعل دورا في العلاقات الدولية، ومن خلاله يتصرف –الفاعل– دوما بما يراه ملائما لهذا الدور فعلى سبيل المثال أظهرت مجموعة من الدراسات أن الاعتقاد السائد لدى الألمان بأوروبية ألمانيا وبأهمية التكامل الأوربي بعد الحرب العالمية الثانية أدى إلى تبني سياسات مغايرة عما سبق، كذلك الأمر بالنسبة للبريطانيين بمجرد تحديد هويتهم بالعلاقات الأطلسية حدد دورهم في علاقاتهم مع الولايات المتحدة الأمريكية.[1]

هذا ما يدفعنا إلى معرفة و تحديد مفهوم الهوية، وماذا يقصد به ؟

إن مفهوم الهوية يقصد به تلك :

> "الكيفية التي يُعَرِّف الناس بها ذواتهم أو أُمَّتهم، وتُتَّخذ اللغة والثقافة والدين أشكالاً لها، فهي تنأى بطبعها عن الأحادية والصفاء وتنحو منحى تعدديًّا تكامليًّا إذا أُحسن تدبيرها، ومنحى صداميًّا إذا أُهملت وأُسيء فهمها، تستطيع أن تكون عامل توحيد وتنمية، كما يمكن أن تتحوَّل إلى عامل تفكيك وتمزيق للنسيج الاجتماعي، الذي تؤسِّسه عادة اللغة الموحدة".[2]

ويطلق أيضا عليها: أنها نَسق المعايير التي يُعْرَفُ بها الفرد و يُعَرَّفْ، وبالرغم من أن المفهوم يعد من أكثر المفاهيم المركزية حضورا في العلوم الإنسانية، لبساطته الظاهرية التي يتبدى عليها، إلا أنه بالغ التعقيد والضبابية، كما يتميز أيضا بدرجة عالية من المشاكلة ، ذلك لأنه بالغ التنوع في دلالاته و إصطلاحاته .[3]

---

[1] خالد موسى المصري، "النظرية البنائية في العلاقات الدولية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية المجلد 30 العدد02(2014):326.

[2] جمال نصار، "الهوية الثقافية وتحديات العولمة "مركز الجزيرة للدراسات (2015):3.
http://studies.aljazeera.net/mritems/Documents/2015/1/28/20151289522660673 4Cultural-globalization.pdf

[3] اليكس ميكشيللي ، *الهوية* ، تر. علي وطفة (سوريا : دار الوسيم للخدمات الطباعية ،1993) ،7.

فطبيعة الدراسة لا تستجدي القيام بعملية مسح للتعريفات الموردة لمفهوم–الهوية– فهو يختلف ويتباين من حقل معرفي لآخر، وإنما نسعى لتحديده ضمن مجال العلاقات الدولية وبالأخص وفق إطار النظرية البنائية فهي ترى بأن الهوية* :

> "من تقوم بترسيم الحدود بين الذات والآخر، ونقصد بها: "ذلك البعد الوشائجي الذي يشكل ما يميز فردا أو مجموعة عن الآخرين وما يعطي لوجودهم دورا ومَعْنًى معينا"، تؤدي الهويات كما يصرح "تيدهوف" TedHopf: وظائف ضرورية في المجتمع: تخبرك من أنت ومن الآخرين"[(1)]

يُجَادِلُ البنائيون بأن الدول تعرف مصالحها الوطنية كما تصوغ سياستها الخارجية استنادا للأعراف والمبادئ و ما تمليه الهويات، فهي الدافع لتبني الدول سياسة معينة في قضايا محددة، إن تعريف الجماعة لهويتها يساعدها في معرفة موضعها من خلال تحديد مصادر التهديد، ومعرفة حلفائها المحتملين في مواجهته إذا وجد لذا:

> فسياسة الهوية وليس منطق المساواة في السيادة بين الدول هي التي غالبا ما تقدم لنا تفسيرا أفضل لنظرة دولة ما إلى دولة أخرى باعتبارها مصدرا حقيقيا أو محتملا لتهديد أمنها".[(2)]

إن الدول تتمتع بهوية مؤسسية تولد أهدافها الرئيسة مثل التنمية، والأمن المادي و الاستقرار والاعتراف من جانب الآخرين، ومع ذلك فإن الطريقة التي تعتمدها في تحقيق أهدافها تكون عبر هوياتها الاجتماعية، أي كيف تنظر الدول إلى نفسها مقابلة

---

* حسب فندت توجد أربع هويات لتحليل : الهوية الذاتية (Corporate) أو التنظيمية، هوية النوع(Type) هوية الدور (Role)، الهوية الجماعية (Collective).

[1] قوجيلي، الدراسات الأمنية النقدية،75.

[2] أحمد علي سالم، "القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي، "المجلة العربية للعلوم السياسية 20(2008):135.

بالدول الاخرى في المجتمع الدولي، ومن ثمة تكون الهويات هي الأساس والموجه لبناء الدولة لمصالحها الوطنية.[1]

ولهذا يقدم البنائيون العديد من الأمثلة على الدور الذي تؤديه المعايير في السياسة الدولية فقد بين كل من "كوسلوسكي" وكراتوشفيل من أجل فهم نهاية الحرب الباردة يجب التركيز على الدور الجوهري لمتغير المعايير، فنهايتها حسبهم كانت من خلال قرار "غورباتشوف" بإلغاء مذهب بريجنيف، وهذا ما يتضارب مع التفسيرات النيوواقعية، حيث أن القرار لم يكن مدفوعا بالقيود النُظُميةِ، بل كان نتيجة لاختيار سياسة خارجية عكست التطورات الحاسمة في السياسات الداخلية لأروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي، لقد أحدث قرار "غورباتشوف" ثورة في النظام الدولي أعيد تكوينه من خلاله، وذلك بتبني الكتلة السوفيتية لمعايير جديدة تختلف تماما عن المعايير السابقة، وبالتالي القواعد هي التي تحكم علاقات القوى العظمى.[2]

إن الطرح البنائي قدم بعدا جديدا في العلاقات الدولية متمثلا في الاهتمام بالجانب غير المادي الذي أهملته النظريات الوضعية وعجزت من خلاله عن تقديم تفسيرات لنهاية الحرب الباردة وعن فهم طبيعة النزاعات الجديدة بين الفواعل أو داخل الدولة، وهذا ما أشار إليه ستيفن والت في مقالته "العلاقات الدولية: عالم واحد ونظريات متعددة":

[1] مارتن غريفيتش و تيري أوكلاهان، *المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية*، تر. مركز الخليج للأبحاث (الامارات العربية المتحدة :مركز الخليج للأبحاث ،2008)،109.

[2] قوجيلي، الدراسات الأمنية النقدية،78.

"بأن القضية المحورية في عالم ما بعد الحرب الباردة من وجهة نظر بنائية تتعلق في كيفية إدراك المجموعات المختلفة لهوياتها ومصالحها، ورغم أن التحليل البنائي لا يستبعد متغير القوة، إلا أن البنائية ترتكز بالأساس على كيفية نشوء الأفكار والهويات، والكيفية التي تتفاعل بها مع بعضها البعض، لتشكل الطريقة التي تنظر بها الدول لمختلف المواقف، وتستجيب لها تبعا لذلك ".[1]

إن التعريف الثقافي للوضعية يؤدي دورا معتبرا في تقرير سلوك الفاعلين، فقد تشاركت كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي أثناء الحرب الباردة عقيدة مشتركة، كل طرف كان ينظر للآخر على أنه عدو وذلك نتيجة للصيغة الثقافية المعروفة بالحرب الباردة، ومن خلالها تشكلت هوياتهما ومصالحهما بناء على ذلك، ووفقا لهذا المنظار انتقد كراتشوفيل الأسس التي تقوم عليها نظريات العلاقات الدولية التقليدية السابقة لنهاية الحرب الباردة، موضحا عجزها في التفسير ويقدم :

"قراءة إبستمولوجية مغايرة لها، حيث يولي اهتماما مغايرا لدور القواعد والمعايير في الحياة السياسية وتفسيرها، وهي التي تصوغ القرارات وتعطي الأنشطة والأفعال معانيها" [2]

يعد مفهومي الهوية والمعايير من أهم إسهامات الطرح البنائي، من خلال أفكارها استطاعت أن تنافس و تجد لنفسها موضعا في نظريات العلاقات الدولية.

[1] ستيفن والت، "العلاقات الدولية :عالم واحد ونظريات متعددة"، أطلع عليه يوم 15أفريل2017، https://mega.nz/#!Xdgk2bQD!-iH0elg1rKm-QESjnKWA43MdsgVP4SCmatVqHZYq9AE

[2] محمد شلبي ، دور الثقافة،336.

المبحث الثاني: الدراسات الثقافية و دور الثقافة في العالم الاجتماعي

تشكل الثقافة مرتكزا مهما في العلاقة بين الشعوب والدول، فهي الجسر الواصل بين معطياتهم الإنسانية ومصالحهم المشتركة، ولم تكن تلك التجارب الإنسانية إلا أبنية ثقافية قامت عليها العلاقات الدولية، ولذا فإن الاهتمام بالدور الثقافي في العلاقات الدولية يمثل الأُسس الذي بُنيت عليه مكونات هذه العلاقة فقد أصبح للثقافة تأثير واضح في تشكيل السلوك الدولي.

المطلب الأول: تعريف مفهوم الثقافة:

إن قدرة الإنسان على إنتاج الثقافة من أهم السمات و الخصائص التي تميزه عن الكائنات الأخرى، فالثقافة صفة لازمة له حتى وإن كان غير مدرك لها فهو كائن ثقافي، ومن الصعوبة تعيين الحدود الزمنية لظهور الثقافة، يذكر "رايموند وليمز"Raymond williams وهو أحد المسؤولين عن مركزية المصطلح في حوار أجري معه، أنه في الكثير من المرات كان يتمنى أنه لم يسمع بهاته الكلمة الملعونة قط [1]، مؤكدا في كتابه (Keyword) بأن كلمة ثقافة تعد واحدة من أكثر المفردات تعقيدا في اللغة الإنجليزية، فقد تم استخدامها بطرق مختلفة سواء كان في الأحاديث اليومية أو من قبل علماء الاجتماع.[2]

هذا ما أكده توماس "ستيرنز إليوت" Thomas Stearns Eliot بأن الدافع من تأليفه كتاب "ملاحظات نحو تعريف الثقافة" كان بسبب إساءة استعمال كلمة الثقافة، وقصده من ذلك العمل أن يحدد ماهيتها ويقدم تعريف لها .[3]

---

[1] مايكل دينيغ ، *الثقافة في عصر العوالم الثلاثة*، تر. أسامة الغزولي (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،2013)،103.

[2] هارلمبس وهولبورن، *سوسيولوجيا الثقافة والهوية*، تر. حاتم حميد محسن(سورية: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع،2010)،07.

[3] ت.س. إليوت، *ملاحظات نحو تعريف الثقافة*، تر. شكري محمد عياد(مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001)،17.

ونظرا لهذا التعقيد والاختلاف وُجِدَتْ عدة دراسات تبحث في الثقافة منها مَنْ تخصص في رصد نشأة المفهوم وتطوره من الناحية التاريخية، ومنها من ركز على الجانب المعرفي، وقد أحصى عَالِمَا الأنثروبولوجيا الأمريكيان "كروبير" A.L.Kroeber و"كلوكاهان" C.Kluckhohn ما لايقل عن 160 تعريفا للثقافة قاما بفرزها على سبعة أصناف: وصفية وتاريخية و تقييمية وسيكولوجيه وبنيوية وتكوينية، وجزئية غير كاملة، هاته التعريفات لعلماء ينتمون إلى تخصصات مختلفة منها الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع والسياسة والاقتصاد ومن الطبيعي أن يركز كل عالم على محاكات معينة و يهتم لظواهر من الثقافة دون أخرى، حسب طبيعة تخصصه[1]

كل هذا يدفعنا من أجل التحكم بالمفهوم جيدا، العودة به إلى إيتيمولوجيا المصطلح أي بالرجوع لأصل الكلمة وتاريخها، فأصل الكلمة "culture" مشتق من الكلمة اللاتينية "cultur" التي كانت رائجة في القرن الحادي عشر ميلادي وبدورها اشتقت من الجذر اللاتيني "colere"، الذي تفرعت عنه ثلاث دلالات فأصبحت كلمات متميزة وهي : culte وتدل على "العبادة والتقديس"، وكلمة colunus تفيد "إعمار الأرض والإسكان"، وكلمة cultura تعني "حرث الأرض وزراعتها"، لكن المعنى الذي حافظ على استمراريته هو إعداد الأرض وزراعتها قصد جنى المحصول، [2] حتى القرن الثامن عشر أين انتقلت الثقافة من فِلَاحَة الأرض إلى ثقافة الْفِكْر، وتم إدراجها على هذا النحو في قاموس الأكاديمية الفرنسية Dictionnaire de l'académie Francaise سنة 1718.[3]

أما كلمة الثقافة في اللغة العربية يقول مالك بن نبي أنه لم يجد لها أثر في العصرين الأموي والعباسي، حيث تغيب الكلمة في ذلك العصر سواء في لغتهم الأدبية

---

[1] عبد الغاني عماد، *سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات.. من الحداثة إلى العولمة* (لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)، 28-31.

[2] عبد الرزاق الدواي ، *في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات* (قطر:المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)،17

[3] دنيس كوش، *مفهوم الثقافة في العلوم الإجتماعية*، تر. منير سعيداني (لبنان : المنظمة العربية للترجمة،2007)،18.

أو لغتهم الرسمية، و ينطبق ذلك أيضا على لغة ابن خلدون * فلا وجود لكلمة ثقافة عنده وهو الذي يعد أول مرجعا لعلم الاجتماع العربي في العصر الوسيط.[1]

بالنسبة للمعاجم العربية يقول لسان العرب في المجلد العاشر: يقال ثقف الشيء وهو سرعة التعلم، ويقول ابن دريد "ثقفت الشيء حذقته"، وفي حديث الهجرة: هو غلام شاب لقن ثقف أي ذو فطنة وذكاء، ويذكر العلامة فريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين في المجلد الثاني : ثقف يثقف ثقافة :أي فطن وحذق.[2]

إن كل المعاني الاشتقاقية الأصلية لكلمة ثقافة في اللغة العربية مهما اختلفت فإنها تلتقي كلها للدلالة على مُرَكَّب من المعاني يشمل في الآن نفسه صفات: الحذق، والمهارة والفطنة، والتهذيب، والتسوية والتقويم، والإصلاح من بعد اعوجاج.[3]

بعد معاينة الكثير من التعريفات حول مفهوم الثقافة، اخترنا منها ثلاث تعريفات نرى بأنها تتناسب وطبيعة الدراسة.

- **تعريف "إدوارد بورنيت تايلور" edward burnett tylor:**

فهو أول من اقترح للثقافة تعريفا مفهوميا سنة 1871 في مؤلفه الكلاسيكي: "الثقافة البدائية" primitive culture يقول بأن الثقافة هي :

> "هي كل مركب يشتمل على : المعارف، والمعتقدات والفن والآداب، والقانون والأخلاق ، والتقاليد كل القابليات و والعادات الاخرى التي يكتسبها الانسان بصفته عضوا في مجتمع معين" [4]

---

* وردت الكلمة مرتين او ثلاث في المقدمة بصور ادبية بوصفها مفردة لغوية دون الوقوف عند كلمة ثقافة بوصفها وتقديرها ظاهرة اجتماعية

[1] مالك بن نبي، *مشكلة الثقافة*(سورية: دار الفكر المعاصر:1984)،20.

[2] نفس المرجع ،19.

[3] عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب، 19.

[4] عبد الغاني عماد، سوسيولوجيا الثقافة،31.

- **تعريف "ليزلي وايت"Leslie White :**

"هي عبارة عن فئة خاصة من الأشياء والظواهر التي تعتمد على قدرة الانسان على التعبير بالرموز، التي يتم تناولها في السياق غير الجسدي"[1]

لا يكتفي" ليزلي وايت" بتقديم تعريف للثقافة، وإنما قام بتجميع وتصنيف كل الأنساق الثقافية في ثلاث قطاعات كبرى(section) تتكون منها الثقافة، ومن خلال هذا التقسيم يحدد العناصر الثقافية التي يطلق عليها إصطلاحا (The Focus of Culture) وهي:

أولا : التحيزات الثقافية التي تشمل الأفكار والعقائد والاتجاهات الموجودة في عقول الأفراد.

ثانيا : الأشياء المادية التي يعطيها الإنسان معنى محددا، وفي معظم الحالات تكون من صُنْعِهِ، و تُعْرَفُ بأنماط أو أساليب الحياة.

ثالثا: العلاقات الاجتماعية وتتضمن العلاقات بما فيها التفاعل و الاتصال بين البشر بعضهم ببعض، وبين البشر والأشياء، هاته العناصر الثلاث تكون مترابطة بعضها ببعض في الكل المركب للثقافة والمنشئ لها.[2]

- **تعريف كروبير وكلوكهان :**

بعد مسحهما قرابة 164 تعريف قدما تَعْرِيفًا شاملا للثقافة، حيث يعتبران بأن الثقافة تتكون:

[1] دينيس اليكساندروفيتش تشيكالوف فلاديمير أليكساندروفيتش كوندراشوف، *تاريخ الثقافة العالمية*، تر. عماد طحينة (أبوظبي: هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة، 2011)،15.

[2] عبد الغاني، سوسيولوجيا الثقافة،47.

"من نماذج ظاهرة وكامنة من السلوك المكتسب والمنتقل بواسطة الرموز، والتي تُكَوِّنُ الإنجاز المميز للجماعات الإنسانية، والذي يظهر في شكل مصنوعات ومنتجات، أما قلب الثقافة فيتكون من الأفكار التقليدية(المتكونة والمنتقاة تاريخيا) وبخاصة ما كان متصلا منها بالقيم. ويمكن أن نعد الأنساق الثقافية نتاجا للفعل من ناحية، كما يمكن النظر بوصفها عوامل شرطية محددة لفعل مقبل".[1]

من خلال تفكيك التعريفات السابقة نجد بأن الثقافة بمفهومها الواسع أصبحت مُكَوِّنًا اجتماعيا، و مُحَدِّدًا لهوية المجتمع، وهذا ما يجادل به المستشرق الألماني "غوستاف فون غرونباوم" Gustav Von Grunbaum بأن الثقافة الآن عبارة عن منظومة من الأسئلة والأجوبة التي تتعلق بالكون وبالسلوك الإنساني، بِمَعْنَى أنها:

"نسق من المعلومات والإحالات والمعايير الشائعة في مجتمع بأكمله، والمؤثرة جزئيا على مناحي تفكيره وسلوكه إزاء العالم الخارجي، والمنقولة عبر ذاكرته الجماعية وهي التي تشكل في نهاية المطاف أصالته وهويته الجماعية "[2]

يتفق "كليفورد" Clifford مع الطرح الذي قدمه غوستاف غرونباوم حول العلاقة ما بين الثقافة والهوية، ويضيف بأنها–الثقافة– نظام للمعنى يشترك فيه جماعة من الأعضاء، تساهم في تحديد مجموعة الرموز التي من خلالها يتفاهمون على الطريقة التي يديرون بها تفاعلاتهم، كما أنها تضبط قواعد اللعبة التي ينخرط فيها اللاعبون.[3]

شهدت بداية التسعينيات انتقال هذا المفهوم من الجدالات الأكاديمية ليصبح مفهوما تتبناه المؤسسات أكسبه أهمية إضافية، ويبدو ذلك جليا من خلال البيان الختامي الصادر عن المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية الذي عُقِدَ في مدينة مكسيكو سنة 1982:

---

[1] نفس المرجع،32.

[2] عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب ،32

[3] محمد شلبي ، دور الثقافة ،344.

"... وتُشَـكِّلُ كـل ثقافـة بشـرية منظومـة مـن القـيم فريـدة مـن نوعهـا وغيـر قابلـة للاسـتبدال، وبواسـطة هـذه القـيم، وكـذلك بواسـطة أشـكال التعبيـر المتنوعـة والمختلفـة يـتمكن كـل شـعب مـن الشـعوب البشـرية من تأكيد حضوره ومشاركته في العالم..."[1]

لقد اكتسبت الثقافة دورا بالغ الأهمية خاصة بعد نهاية الحرب الباردة، فهي تقوم بعدة أدوار ، تشكل الهوية التي من خلالها ترسم الدول سياساتها وتحدد حلفائها من أعدائها، كما انها ترسم قواعد اللعبة في النظام الدولي .

[1] عبد الرزاق، في الثقافة والخطاب ،32.

المطلب الثاني : المقاربة الأنثروبولوجية للثقافة

أحدثت الثَّقَافَةُ جَدَلًا وَاسِعًا في فضاءات الفكر الْمُعَاصِر، يتضح ذلك كما أشرنا سابقا في التعريفات المتعددة للمفهوم، ما عَجَّلَ ببروز دراسات متخصصة، فقد أسس "تالكوت بارسونز" Talcot parsons سنة 1946 قِسْمًا مشتركا بين التخصصات الأكاديمية للعلاقات الاجتماعية في هارفارد جمع فيه علماء الاجتماع والنفس و الأنثروبولوجيا معا تحت قيادته، وكان الهدف من هذا العمل إحداث هزة في العلوم الاجتماعية من خلال إعادة ترتيبها على أسس وظيفية، يُسْنَدُ لكل تَخَصُّصٍ مَوْضُوعَ بحث معين، فيتعامل عِلْمُ النفس مع الفرد والطبيعة البشرية، أما النظم الاجتماعية يتولى بحثها عِلْمَ الاجتماع، ثم اقترح بأن وظيفة الأنثروبولوجيا ستكون في البحث حول الثقافة.[1]

تُعْتَبَرُ الأعمال التي قام بها بارسونز بمثابة باكورة الدراسات الثقافية، التي تأسست رسميا مع إنشاء مجموعة بيرمنغهام ما يسمى بـ:" Birmingham Center For Contomporary Cultural Studies" في إنجلترا سنة 1964 بقيادة "ريتشارد هوغارت" Richard Hoggart [2] ، بالرغم أنها كانت متأثرة بالأفكار الماركسية، إلا أن مدرسة برمنغهام قدمت طرحا جديدا يقوم على عدم إرجاع الثقافة إلى الاقتصاد السياسي، ولا إلى "الثقافة السامية" Hight Culture، بل غيرت الأرضية الكاملة للنقاش حول الثقافة من تعريفها كونها أمرا أدبيا وأخلاقيا، ورفعتها إلى المجال الأنثروبولوجي ثم قدمت تعريفا لها يرتكز على الثالوث الذي يشكل –الفعل– أي: الشخصية والعلاقات الاجتماعية والأفكار

[1] آدم كوبر ، *الثقافة التفسير الأنثروبولوجي*، تر. تراجي فتحي(الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، 2008)،36.

[2] عبد الله الغذامي، *النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية* (المغرب: المركز الثقافي العربي،2005)،19.

والقيم، والتي من خلالها تصبح الأنثروبولوجيا علما مستقلا عن علم الاجتماع وعلم النفس، وجعلت من التحليل الاجتماعي أمرا حاسما لها. [1]

من أشهر التعريفات الأنثربولوجية للثقافة وأكثرها تداولا تعريف إدوارد تايلور ويعزى ذلك للقيمة التاريخية التي اكتسبها، حيث ساد–التعريف– لعقود عدة ولم يختلف حوله إلا فيما بعد، حيث عرفها بعضهم على أنها السلوك المكتسب، في حين يرى آخرون بأنها ليست السلوك وإنما تجريدات مأخوذة من السلوك، وهو المفهوم الذي تبناه عالما الأنثروبولوجيا كروبر و كلوكهان و وافقهم على ذلك كل من "بيلز"Beals و"هويجر" Hoijer و"ألفيرد راد كليف براون"Alfred Radcliffe Brown، بأن الثقافة ليست ذلك السلوك وإنما هي تجريد مأخوذ من السلوك الإنساني الملاحظ حسيا، فالأنثروبولوجي حسبهم لا يستطيع أن يلاحظ الثقافة مباشرة، فقط يمكنه أن يراها عبر جملة الأشياء والأشخاص والأفعال وتفاعلاتهم، وهم بهذا التعريف يرغبون نحو الاهتمام أكثر بمفهوم البناء الاجتماعي.[2]

يحاج كروبر بأن المقصود من التجريد ليس بمعناه الميتافيزيقي، وإنما يقصد به "النمط" pattern، والنمط هو :

> "الصورة العامة أو السلوك الذي يتكرر حدوثه في الحالات الفردية للأشياء والأفعال الإنسانية، أي أنه يمثل أحد أكثر الأشياء تكرارا في الحالات الفردية ويمكن قياسه كما نفعل في الإحصاء حين نحدد المتوسط".[3]

---

[1] محمود الذوادي، *مختصر الجدال حول النظرية الاجتماعية*(الولايات المتحدة الامريكية :المعهد العالمي للفكر الاسلامي ،2014)،47.

[2] عبد الغاني، سوسيولوجيا الثقافة،45–46.

[3] نفس المرجع.

لِذَا كرست "روث بيندكت" Benedict Ruth معظم أعمالها للتعريف بالأنماط الثقافية، فاشتهرت باستخدامها النسقي لمفهوم Patterne of Culture ، فكل ثقافة حسبها تتميز بنمط معين يختلف عن الثقافات الأخرى، واعتبرت أن وحدة الدراسة الدالة هي الهيئة الثقافية ، التي تمد الأفراد بترسيمة لا واعية لكل أنشطة الحياة.[1]

إن الأنماط الثقافية لا تقتصر أهميتها في تحديد أنشطة الحياة للأفراد، وإنما تتجاوز ذلك بتأثيراتها على السياسة، فهناك دراسة قام بها بعض الباحثين في فرنسا أواخر الثمانينات من القرن العشرين ، عالجت إمكانية أن تكون الثقافة بديلا عن السياسة في إنماء العلاقات الدولية وفي حل الأزمات بين الدول، واعتبرت الدراسة أن الثقافة في وقتنا الحالي تفهم بشكل اكثر اتساعا مما كنت عليه في الماضي، كما أنها بمفردها لم تستطع أن تعالج مشكلات الأمم، فلابد من تعاضد الثقافة معها، وبالتالي ضرورة تطوير العلاقات والمجالات الثقافية بين الدول والشعوب.[2]

هذا ما ذهب إليه هنتغنتون في أطروحته صدام الحضارات بأن العالم منقسم إلى مناطق ثقافية مختلفة، و يقر بأن نظام الدولة الوستفالي لم يحقق أي تجانس، ماتزال العلاقات الدولية يوجهها المنطق الحضاري: فرجل الدولة الهندي يعمل وفق مفهوم ماندالا الهندوسي، والسياسة الخارجية الصينية ماهي إلا انعكاس للكونفشيوسية والطاوية، واليابان متأثرة بالشنتوية والبوذية، بسبب مفاهيم ثقافية مختلفة أنتجت تعددية للنظم السياسية وعلى هذا الأساس تم القول بأن: العلاقات الدولية اليوم هي علاقات ما بين الثقافات.[3]

هاته المقولة يعتبرها توماس إليوت حقيقة يجب الإقرار بها، مؤكدا بـ:

---

[1] دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية ، 63-64.

[2] زكي الميلاد، *المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة* (لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،2010)،222.

[3] مورتن فالبيرون "الثقافة والعلاقات الدولية–الثقافة في العلاقات الدولية"، المجلة العربية للدراسات الدولية 01(2005):18.

"أن الثقافة أصبحت بوجه عام قسما من السياسة، مراعاة لحقيقة أن السياسة كانت في عهود أخرى نشاطا يمارس داخل ثقافة ما".[1]

سنحاول إبراز كيف تؤثر العوامل الثقافية في العلاقات الدولية من خلال تحديد بعض الأدوار المهمة التي تقوم بها في حقل العلاقات الدولية .

أولا: تحدد الثقافة صورة العالم لدى القوى الفاعلة في النظام الدولي، ومن خلالها تؤثر في إدراكها للأحداث، كما تحدد لها جملة من الأحكام :الأخلاقية (الصواب والخطأ) والجمالية (الحسن والقبيح)، وتجعل من صناع السياسة الخارجية لا يتقيدون بالنموذج العقلاني حساب المكاسب والخسائر بعقلانية كاملة، بل تؤثر رؤيتهم للعالم في تلك الحسابات وبدورها تؤثر في سلوكهم.

ثانيا: تمثل الثقافة مصدرا مهما للدوافع، فالدوافع لا تقتصر فقط على شخصية الفرد بل تساهم القيم الثقافية التي يحملها المجتمع أن تكون محفزا ، فيمكن التمييز بين ثلاث مجتمعات، الأولى تعلي من قيمة الحرية وأخرى من قيمة المساواة، وثالثة تعلي من قيمة التضامن، فتبرير حرب باسم نشر الديمقراطية لا يكلف جهدا في المجتمعات التي تعلو من قيمة الحرية وهذا ما قامت به الحكومتين البريطانية والأمريكية في حربهما على العراق عام 2003، أما المجتمعات التي تعلي من قيمة التضامن كالمجتمعات العربية فقد يسهل تعبئة الجمهور وحشد الدعم لنصرة شعب شقيق في نضاله كالشعب الفلسطيني.[2]

ثالثا: الثقافة كما أنها تصنف الناس سواء على أساس العرق أو الطبقة الاقتصادية أو الاجتماعية أو الجنس فإنها تقوم بنفس الدور على مستوى العالم حيث تقسمه لشرق وغرب، وإلى شمال وجنوب، ويعد معيار التقسيم ثقافي وليس جغرافي مع الإقرار بتأثير

[1] زكي الميلاد، المسألة الثقافية ،217.

[2] علي سالم ، القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة ،134.

العوامل الاقتصادية والتكنولوجية فيه، إن اعتبار الثقافة معيارا للتقسيم هو أهم مبدأ تقوم عليه نظرية صدام الحضارات.[1]

ونتيجة الإقرار بتأثير الثقافة في العلاقات الدولية، عالج بعض علماء الأنثروبولوجيا أمثال "فرانز بوا"Franz Boas و"مالنوفيسكي" Malinowiski و"مارغريت ميد" Margaret Mead و"ليفي شتراوس " Lévi Strauss أهم المسائل السياسية وأكثرها أهمية.[2]

[1] نفس المرجع.

[2] آدم كوبر ، الثقافة التفسير الانثربولوجي،217.

الفصل الثاني

الْفِعْل الجماعي: دراسة في تَشَكُّلِهِ و مظاهره

المبحث الأول: الفعل الجماعي : دراسة في تَشَكُّلِه

يقوم الفعل الجماعي بمختلف أشكاله على ركيزتين أساسيتين، يجب تَوَفُّرهُمَا من أجل تحقيقه، الركيزة الأولى تتطلب أن تكون هناك معايير وقواعد مشتركة بين الفواعل في حين تتضمن الركيزة الثانية الخطاب كفعل و كأداة، ومن خلالهما يتشكل الفعل الجماعي باختلاف مظهره.

المطلب الأول : فِعْل الْخِطَاب ودوره في تَشَكُّلِ الفِعْل الجماعي

من أجل فهم التعاون الدولي، وأي فعل جماعي بين الدول، يتطلب ذلك استخدام تقنية تحليل الخطاب كآلية مُشَكِّلَة لهذا الفعل، حيث تُنْسَبُ نظرية "فعل الخطاب" Act Speech أو أفعال الكلام إلى "أوستن" Austin، أين جُمِعَتْ محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955 في كتاب سمي :"كيف تفعل الأشياء بالكلمات"، ثم قام جون سيرل وغيره من البراغماتيين بتطوير هذه النظرية أثناء السبعينيات والثمانينيات.[1]

لقد استعانت نظريات ما بعد الوضعية للعلاقات الدولية وبالأخص "وايفر" Waever ومنظري مدرسة كوبنهاغن بنظرية فعل الخطاب المنبثقة عن الفلسفة التحليلية ونظرية اللغة، والتي طُوِّرَتْ بشكل رئيسي كما أشرنا سابقا من طرف "أوستن" و "سيرل" ، إضافة إلى الفيلسوف الفرنسي " ميشال فوكو" Michel Foucault، و"هابرماس" Habermas و"جاك دريدا" Jacques Derrida [2].

حيث تقوم "نظرية أفعال الخطاب" Theory Of Speech Acts بالنظر:

---

[1] محمد محمد يونس علي ، "نظرية أفعال الكلام" ، أطلع عليه بتاريخ 30 ماي2017،
http://takhatub.blogspot.com/2009/10/4.html

[2] قسوم سليم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية ،122.

" إلـى اللغـة علـى أنهـا أداء أعمـال مختلفـة فـي آن واحـد، ومـا القـول إلا واحـد منهـا، فعنـدما يتحـدث المـتكلم فإنـه فـي الواقـع يُخْبِـرُ عـن شـــيء ، أو يصـــرح تصـــريحا مـــا ، أو يـــأمر، أو ينهـــى، أو يعـــد أو يحذر...".[1]

إن الألفاظ التعبيرية تُعَدُ من الأشكال الْمُكَوِّنَةٌ للْفِعْل، فمدرسة كوبنهاغن تعتبر –أفعال الْخِطَاب – على أنها أدوات تُسْتَخْدَمُ من طرف الفواعل لتحقيق أهدافهم، وعلى هذا الأساس جادل "بوزان" Buzan بأن المعاني ترتبط سَبَبِيًّا بالطريقة التي وُظِّفَتْ بها اللغة.[2]

"فـالمعنى لا يـرتبط بمـا يُفَكِّـرُ و يُـدْرِكُ النـاس أنـه معنـى المصـطلح ولكـــن فـــي كيـــف يســـتخدمونه ضِـــمْنِيًّا بشـــكل مـــن الأشـــكال دون غيره ".[3]

بِنَاءًا على هذا الطرح، يقول "ريتشارد شويدر " Richard Shweder بأن الثقافة هي الإطار العام الذي يحدد فكر البشر، ومادامت بنية القناعات المشتركة هي في النهاية ظاهرة لسانية فإن ذلك يعني أن اللغة ليست فقط وسيلة للتفكير ولكنها تجعل من التفكير أمرا مُمْكِنًا.[4]

بل من أجل فهم كيف تمت التفاهمات المشتركة (التذاتانية) السابقة بين الدول يتعين على المرء أن ينظر إلى الخطابات في السياق الدولي، فمنظري الْخِطَاب الحديث ينظرون إلى – الْخِطَاب – على أنه عمل اتصال يقوم بعملية إنتاج المعاني وتبادلها ومن ثمة فالخطاب يُشَكِّلُ و يَبْنِي الْعَالَم من خِلَالَ المعاني التي يُضْفِيهَا عليه. [5]

---

[1] محمد محمد يونس، نظرية أفعال الكلام.

[2] قسوم سليم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الأمنية،122.

[3] نفس المرجع.

[4] الكسندر ونت، النظرية الإجتماعية،250.

[5] Dirk.Nabers" culture and collective action-japan,Germany and the united States after september11,2001" Working Papers Global and Area Studies 09(2005):11 .

وبذلك يتحول الخطاب من مجرد عملية تواصلية إلى أداة تشكيلية، لهذا يولي البنائيون أهمية كبيرة للخطاب السائد في المجتمع، لأن –الخطاب– حسبهم يعكس ويُشَكِّلُ في الوقت ذاته المعتقدات والمصالح، ويؤسس أيضا لسلوكات تحظى بالمقابل بالقبول.[1]

وسنأخذ مِثَالًا بالولايات المتحدة الأمريكية للتوضيح، يتعلق بكيفية تأثير الخطاب على الساحة السياسية، سواءً على مستوى الدولة أو في إطار النظام الدولي.

على مستوى الدولة: قبـول مواطني الولايات المتحدة فـي إطار Patriotic Act بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 تقييد بعض من حرياتهم المدنية باسم ما أطلق عليه الخير الأكبر وهو سلامة الأراضي الأمريكية.

أما على مستوى النظام الدولي : فقد جادل "بوزان" بأنه مع نهاية الحرب الباردة برزت ظاهرة الإرهاب الدولي كنوع جديد من التهديدات العالمية، فقد تم تأطير الحرب على الإرهاب من قبل الإدارة الامريكية في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، وفق منطق الأمننة* الكلية فإعلان " بوش" Bush للعالم بأنه من" ليس معنا فهو ضدنا"، بفعل هذا –الخطاب –أنتج مَناخًا شبيها بالحرب الباردة، أين وَجَدَ كل طَرَفٍ نفسه بطريقة ما يَنْحَازُ لجهة معينة ويختار قُطْبًا مُعَيَّنًا[2]، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في الفصل الثالث.

---

[1] ستيفن والت، عالم واحد ونظريات متعددة،9.

*الأمننة: هي المسار الذي يمكن من خلاله لفاعل ما أن يعلن مسألة محددة او فاعل آخر على أنه يشكل تهديدا فعليا لوحدة مرجعية معينة ، وترى نظرية الأمننة ان الأمن فعل خطابي ، فبمجرد وسم شيء ما بأنه مسألة أمنية يجعله كذلك .

[2] قسوم سليم، الاتجاهات الجديدة في الدراسات الامنية،121–123.

هذا ما جعل من "دافيد كامبل" David Campbell يقول: بأن الدولة الأمريكية تعتمد على خطاب الخطر الذي تخترع فيه نُخَب الدولة وبشكل دوري التهديدات، كما قد تبالغ فيها من أجل أن تنتج "نحن" وتحافظ عليها في مقابل "أولئك" .[1]

انطلاقا من دور –الخطاب –في تحديد الهويات، وتأثيره في السياسة العالمية اعتبر أنصار ما بعد الحداثة أن إشكالية النظام الدولي تكمن في الخطاب، لذا اقترحوا استبدال خطاب الواقعية بخطاب اجتماعي يؤكد على السلام والانسجام، والفكرة هي أنه إذا ماتم استبدال برنامج البرمجيات Software الخاص بالواقعية واستبداله ببرنامج جديد يستند الى المعايير الجماعية فسوف يتعلم الأفراد والدول والمناطق التعاون مع بعضهم ، وعندها تصبح السياسة العالمية أكثر أمانًا .[2]

إن نظرية – فعل الخطاب – تقوم بعدة وظائف في إطار العلاقات الدولية ، من بينها أنها تساهم في تشكل الواقع وإعادة إنتاجه، و تسعى إلى تحقيق أهداف الدول، كما أنها– نظرية الخطاب– تكون مسببة لأي فعل جماعي يشترك فيه مجموعة من الفواعل، فهي بمثابة الدافع إلى العمل الجماعي، برز تأثيرها جليا بعد الحرب الباردة وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001.

---

[1] ألكسندر ونت، النظرية الإجتماعية، 380.

[2] جون بيلس و ستيفن سميث، *عولمة السياسة العالمية*، تر. مركز الخليج للأبحاث (دبي : مركز الخليج للأبحاث،2004)436.

المطلب الثاني : الفهم المشترك لبناء الفعل الجماعي

إن ما يحدد علاقة الأفراد ببعضهم البعض هو فهمهم لطبيعة العلاقة، ومن ثمة يكون–الفهم– موجها لسلوكهم، نفس الأمر ينطبق على الدول فهي تتفاعل وفق ما تفهمه من بعضها، و ما تفهمه من بيئة النظام الدولي، فالمجتمع منظم عبر بنية الوعي الاجتماعي، وهذا ما يقصد به فندت بتوزيع الأفكار أو المعرفة، وقد تكون هذه البنية المشتركة بين الفواعل على شكل معايير وقواعد أو مؤسسات، حيث تقوم هاته–البنية المشتركة–بتشكيل الهويات والمصالح، ومساعدة الفواعل العثور على الحلول المشتركة للمشاكل، وتعريف توقعات السلوك، وتشكيل التهديدات.[1]

تشكل الصيغ الثقافية المحددة مثل المعايير، والقواعد، والمؤسسات، والتقاليد و الإيديولوجيات، والعادات، والقوانين من المعرفة العامة ، وليس من الضروري أن تحدد العوامل الثقافية بالتعاون، فأهمية المعرفة العامة ليست مقصورة على العوامل التعاونية فقط، فالقناعات المشتركة بإمكانها أن تشكل حربا هوبزية من الكل ضد الكل، أو سلاما كانتيا دائما. [2]

وفق هذا الطرح تقول Nina Tannenwald بأن المعايير يمكن أن تكون حميدة أو أن تكون سيئة :

> " قد تقول المعايير للدول إن الحرب أمر شائن وشنيع أو أنها نوع من المجد".[3]

[1] سيد أحمد قوجيلي، الدراسات الأمنية النقدية،73.

[2] الكسندر ونت، النظرية الاجتماعية الدولية ،231.

[3] نفس المرجع،253.

شرط أن تكون المعرفة العامة متعلقة بالقناعات التي يحملها بعض الفاعلين حول عقلانية بعضهم وحول استراتيجياتهم وتفضيلاتهم وقناعاتهم، وأيضا حول أوضاع العالم الخارجي، وليس من الضروري أن تكون تلك القناعات صحيحة، ما يهم فقط أن يؤمن الفاعلون بها.[1]

إن الفعل الجماعي- للدول- يقوم على ما تنتجه الثقافة من قيم و معايير مشتركة تتبناها مجموعة معينة من أعضاء النظام الدولي وتؤمن بها، وليس نتاج تعميم ثقافة دولة معينة على الآخرين :

> "إذا كانت الدول تتصرف على أساس من المعاني والدلالات التي تعطيها للقوى المادية، فإنه مادامت تلك الدلالات والمعاني غير مشتركة ، فإن بنية المنظومة الدولية لن يكون لها جانب ثقافي، فالمعرفة الخاصة قد تؤثر في السياسة الخارجية، وعندما يتم تكتل تلك المعرفة عبر الفاعلين وبينهم، فإنها ستضيف طبقة(جانبا) تفاعلية للبنية الدولية من شأنها أن تؤثر على النتائج".[2]

إن الثقافة تشكل هويات خاصة بالدور (هويات- دور) وبالتالي مصالح وممارسات متطابقة معها، وبغض النظر عن الأفكار الموجودة في رأس أحدهم فإنه لا يستطيع أن يكون وكيلا بعينه أو بذاته أو أن يدخل في تصرفات معينة إلا إذا كانت هاته الأفكار معترفا بها من قبل الآخرين.[3]

---

[1] نفس المرجع،229.

[2] نفس المرجع،227.

[3] نفس المرجع،254.

على هذا النحو يقول فندت :

"إذا كنت مثل أقود مركبتي في ثقافة يعني فيها اللون الأحمر مواصلة السير واللون الأخضر يعني التوقف، فإنه عند التقاطع من المؤكد أنني والسائق الآخر سوف نتوقع فعلنا بطريقة خاطئة ، وربما ندخل في حادث تصادم، فتوقعاتنا ونبوءاتنا سوف تكون خاطئة والذي قد يكون من شانه أن يتحدى قناعاتنا الثقافية حول الإشارات المرورية أو يشكك فيها، ولو أننا من الناحية الاخرى كنا مشتركين في فهم واحد، فإنني عندئذ سأقف عند الضوء الاحمر والسائق الآخر سيستمر بسلام عبر الضوء الاخضر عندها ستكون نبوءاتنا محققة، الأمر الذي سيعزز من قناعاتنا الثقافية".[1]

إن المعرفة المشتركة (الفهم والتوقعات)هي التي تشكل الفواعل في الدولة وتحدد طبيعة علاقاتها التعاونية أو الصراعية، فالمعضلة الأمنية Security Delemma على سبيل المثال هي :

"بنية اجتماعية مكونة من الفهم التذاتاني الذي تكون فيه الدول مرتابة من بعضها البعض، ما يجعلها تتبنى فرضية أسوء الحالات فيما يتعلق بنوايا الآخرين ، وكنتيجة لذلك تعرف مصالحها في حدود العون الذاتي Self-Help ، وبالمقابل تعتبر الجماعة الأمنية Security Community بنية اجتماعية مختلفة مكونة من المعرفة المشتركة التي تأتمن فيها الدول بعضها البعض لحل النزاعات بدون حرب". [2]

[1] نفس المرجع،265.

[2] سيد أحمد قوجيلي، الدراسات الامنية النقدية،71.

تؤدي المعرفة المشتركة دورا مهما في الفعل الجماعي للدول، فهاته الأخيرة تجعل من –المعرفة المشتركة – خلفية تستند إليها في تحديد أفعالها، بغض النظر عن أشكالها وليس بالضرورة أن تكون تعاونا كما أشرنا سابقا:

" فالسياسة العالمية تقاد بفعل الأفكار و القيم والمعايير المشتركة تذاتانيا والتي يحملها الفاعلون، فالبنائيون يركزون على البعد التذاتاني للمعرفة لرغبتهم تأكيد السمة الاجتماعية للوجود الإنساني ودور الأفكار المشتركة كبنية مثالية تعيق وتبني السلوك ".[1]

يشير فندت إلى أن للفهم المشترك تأثير على السلوك، مبرزا ذلك بمثال قدمته نظرية المباريات لتحليل المعرفة العامة، والمثال عبارة عن قصة" شيلينج" Shelling تدور:

"حول شخصين كان من المفترض أن يتقابلا في نيويورك في يوم محدد، ولكنهما لم يستطيعا الاتصال ببعضهما البعض ، لمعرفة متى وأين تتم المقابلة ، هنا يعتمد هذان الشخصان على فهمهما المشترك في أن يقررا الوصول ظهرا إلى كاونتر المعلومات في محطة القطار الرئيسية في نيويورك ."[2]

توضح القصة، النتائج التي تمارسها المعرفة العامة على السلوك، حيث يوجه شيلينج الأنظار إلى أن الشخصين اللذين كان لديهما ذلك الفهم المشترك الخاص ربما يعود إلى أن مكان التجربة والتي كانت في مدينة "نيوهايفن" New Haven ولاية "كينتيكيت" Connecticut ، أي أن الشخصين كان لديهما ما يمكن أن نسميه هوية نيويوركية بشكل عام. [3]

---

[1] قسوم سليم، الإتجاهات الجديدة في الدراسات الامنية،130.

[2] الكسندر ونت، النظرية الاجتماعية الدولية،240.

[3] نفس المرجع.

بناءً على المثال السابق – كصورة رمزية– نستطيع تفسير سلوك الدول وذلك بالتركيز على أفعالها الجماعية، سواء كانت تكتلات سياسية أو أحلاف عسكرية ، فمن خلال الفهم المشترك بينهم– الدول–، نتوقع سلوكها، كما أن أحد أسباب الفهم المشترك مرجعه تقاسمهم لهوية واحدة .

المبحث الثاني : البعد الثقافي كمحدد للفعل الجماعي في الاتحاد الأوروبي

لا يمكن فهم أي فعل جماعي بمعزل عن البيئة الثقافية التي ينتمي إليها، فالبعد الثقافي هو من يحدد للفعل أدواره وحدوده، وبما أن الاتحاد الأوروبي يعتبر أهم نموذج يمكن دراسته في هذا المجال ، فسنحاول ان نبين كيف أثرت الثقافة في تكتل الدول الأوروبية، ومن نفس المنظار –العدسة الثقافية– لماذا رفضت الدول الاوروبية انضمام تركيا للاتحاد ؟

المطلب الأول: أثر البعد الثقافي في تكتل الدول الأوروبية

لقد كتب الكثيرين عن الظاهرة الإقليمية باعتبارها تعبير عن موقف جماعي مستمد من عدة دول، تقوم بذلك من أجل تحقيق مصالحها وحل مشاكلها بسبب عجز الدولة الواحدة عن القيام بذلك .[1]

من أبرز هاته التكتلات وأكثرها نجاحا هو الاتحاد الأوروبي الذي يُعَرَّفُ على أنه مؤسسة دولية أو منظمة دولية، يضم 28 دولة (قبل انحساب بريطانيا سنة 2016) تأسس بناء على "معاهدة ماستريخت"Maastricht Treaty التي وقعت سنة 1992، يقوم على نقل صلاحيات الدول القومية إلى المؤسسات الدولية الأوروبية، لتبقى هذه المؤسسات محكومة بمقدار الصلاحيات الممنوحة من كل دولة على حدة.[2]

إن هاته –الدراسة– لا تبحث في تاريخ ورصد الأحداث التي مر بها الاتحاد الأوروبي ولا في الهيكل و المؤسسات التي يقوم عليها، وإنما في كيف أثرت المعايير والأفكار على الدول ، وتبنتها في فعل جماعي ترجم في الاتحاد الأوروبي تسعى دراستنا

[1] مخلد عبيد المبيض، *الاتحاد الأوروبي كظاهرة اقليمية متميزة* (الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع،2012)،11.

[2] نفس المرجع،25.

لتفكيك الفعل الجماعي للدول الاوروبية المتمثل في اتحادهم، من خلال العدسة الثقافية والأبعاد القيمية.

إن السياق التاريخي الذي أفرزه النظام الإقليمي الأوروبي وتجربته التكاملية مختلف عن السياق التاريخي الذي أفرزته الكثير من الأنظمة، لأن الشعوب الأوروبية تنتمي إلى أصول عرقية وثقافية متباينة وتتحدث بألسنة كثيرة مختلفة.[1]

> "عندما تشكل النظام الأوروبي الحديث إثر صلح وستفاليا تشكل تحت منظومة قيمية وفكرية، وهي قيم أوروبية مسيحية، واتخذت لها هوية أطلقت عليها اسم الدول الأوروبية المتمدنة التي تتحاكم فيما بينها إلى مجموعة من المعايير المتعارف عليها، معايير لا تسري على المجتمعات الأخرى غير الأوروبية وغير المسيحية".[2]

ترجع نشأة الاتحاد الأوروبي إلى الحرب العالمية الثانية، لِمَا أُرتبِط من نتائج الحرب، وما خلفته من دمار اقتصادي وخسائر بشرية كبيرة، أدى ذلك إلى تبلور رأي عام أوروبي جماعي ضد الحركات القومية المتطرفة التي عرضت أوروبا للهلاك مرتين خلال جيل واحد، فكان البديل المطروح لتفادي كارثة الحرب من جديد يتوقف على قدرة الشعوب الأوروبية على اقامة كيانا أوروبيا فيدراليا على أساس ديمقراطي.[3]

قيام هذا الكيان بتوحيد أوروبا يستند في منطلقاته على خلفية فكرية تعود جذورها إلى سقوط القسطنطينية، وهي وثيقة حملت اسم "تراكتاتوس" Tractatus كتبها ملك "بوهيميا بوديبراد" Podiebrad سنة 1464 من أجل مواجهة الإمبراطورية العثمانية، وطالب بوضع ميثاق ينص على الدفاع المشترك في حالة وقوع اعتداء خارجي على إحدى الشعوب الأوروبية، واقترح فيما بعد القس " دوسان بيار" Saint-Pierre المفوض

---

[1] نفس المرجع،90.

[2] محمد شلبي، دور الثقافة في هندسة العلاقات الدولية،347.

[3] مخلد عبيد المبيض، الاتحاد الأوروبي كظاهرة اقليمية،92.

الفرنسي الذي كان له دور كبير في وضع معاهدة "أوتريخت"Utrech (1713-1715)، ومن أجل وضع حد لحرب الانفصال الإسبانية.

حيث اقترح إقامة مشروع سلام دائم في أوروبا وآخر بين الملوك المسيحيين، لِيُكْمِلَ عمله "جان جوك روسو" Jean-Jacques Rousseau حيث دعا في كتابه "الحكم في السلام الدائم" إلى إقامة فيدرالية أو كونفدرالية بين الأمراء الأوروبيين، وهي الفكرة التي عمل عليها "ايمانويل كانط" Emmanauuel Kant في رسالته المعنونة "من أجل السلام الدائم" على ضرورة وحدة الأنظمة الجمهورية في أوروبا، لأنها الطريقة الوحيدة لتحقيق السلام.[1]

> "ومن ثم أصبحت سيرورة المبادئ الثقافية التي قاوم من أجلها المفكرين عبر التاريخ بمثابة الدوافع والحوافز التي قررت بها النخب السياسية النهوض بالمجتمع الأوروبي، ومقاومة الصراعات وتحقيق التكامل عبر مجتمع ليبرالي يحترم التنوع الثقافي وأكدت السير وفق هاته المبادئ لاسيما في توجهاته الخارجية نحو العالم".[2]

لقد كانت الأبعاد الثقافية من مفهوم الديمقراطية، وحقوق الانسان، والهوية، والمذهب البروتستانتي، وحرية السوق وغيرها من المعايير بمثابة حوافز تحدد الأهداف التي يجب أن تعمل النخب السياسية على تحقيقها بطرق شرعية، فهي تدرك أن بناء الواقع الأوروبي يعتمد أساسا على تصوراتها أي الافكار والقيم الناجمة عن تفاعلات العلاقة بين الدولة ومجتمعها الداخلي.[3]

---

[1] أحمد سعيد نوفل ،"الاتحاد الأوروبي في مطلع الألفية الثالثة "، اطلع عليه بتاريخ 05 ماي، http://faculty.yu.edu.jo/ANufal/Lists/Published%20Research/Attachments/83/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%8A.pdf

[2] نفس المرجع.

[3] فاطمة حموتة، "البعد الثقافي في السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي تجاه منطقة المغرب العربي بعد الحرب الباردة"(رسالة ماجيستير، جامعة بسكرة،2011)،102

وكمثال عن المعايير التي اعتمدها الاتحاد الأوروبي اقتصار العضوية على الدول ذات النظم السياسية الديمقراطية، فدول مثل إسبانيا والبرتغال واليونان لم تقبل كأعضاء في الجماعة الأوروبية إلا بعد انهيار النظم الشمولية فيها، وقيام نظم سياسية ليبرالية على أنقاضها.[1]

تلك المعايير المشتركة جعلت من علاقة الدول الأوروبية فيما بينها أكثر قربا وسياساتها أكثر تشابها، فكان من السهل اندماجها في كيان واحد، وهذه إحدى الركائز التي يقوم عليها الاتحاد، فأي تكتل تحدده علاقة أطرافه ، وهذا ما يوضحه الباحث إسماعيل صبري مقلد بقوله:

> "إن هـذه العلاقـة تقـوم علـى أسـاس مـن التقـارب الإيـديولوجي أو المـذهبي، او وحـدة الاتجاهـات السياسـية أو الالتفـاف حـول مجموعة من الأهداف المشتركة".[2]

فالاتحاد الأوروبي قام على عناصر ضرورية، سنذكر أهمها:

- عنصـر التجـاور بـين الـدول الأعضـاء فـي المنظمـة، بمعنـى الانتمـاء إلـى منطقة جغرافية واحدة.
- عنصـر التضـامن بـين هـذه الـدول، بمعنـى وجـود دول تشـترك كرابطـة وحـدة المصـالح العسـكرية والسياسـية ، وكـذلك وحـدة المصـالح الاجتماعيـة والاقتصادية والثقافية .
- العمل المشترك من أجل الحفاظ على السلم والأمن الدوليين، وتلتزم بالتعاون في الكثير من المجالات[3].

---

[1] مخلد عبيد المبيض،الاتحاد الأوروبي كظاهرة اقليمية،29.

[2] نفس المرجع،15.

[3] نفس المرجع،21.

أما أهدافه فقد حددتها معاهدة ماستريخت، وأهم هدفين يسعى الاتحاد لتحقيقه:

- حماية القيم الأوروبية المشتركة والمحافظة عليها، مثل قيم الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان وكذلك حماية المصالح الأساسية للاتحاد الأوروبي والمحافظة عليها
- حماية استقلال الاتحاد الاوروبي ككيان، واستقلال أعضائه ، وتقوية الاتحاد وأمن دوله.[1]

إن إدراك الدول الأوروبية بضرورة الانتماء إلى الاتحاد مكنها من التوصل إلى هندسة سياسية خارجية موحدة عبر نزعة ثقافية أوروبية، يبرز فيها المستوى فوق القومي لصناعة قرارات سياسة خارجية، تعبر عن رؤية مشتركة وموحدة ناتجة عن أفكار وقيم وهويات، تفاعلت مع بعضها البعض وشكلت الاتحاد الأوروبي.[2]

وهذا ما يقصد به البنائيون:

> "بأن المثل تلعب دورا تفسيريا، فهي فهم جماعي ولها أثر في سلوك الفاعلين ، وهذا الأثر عميق ، فهو يكون هويات الفاعلين ومصالحهم ولا يقتصر فقط على تنظيم السلوك ".[3]

هذا الفهم الجماعي للدول الأوروبية جعلها تولي أهمية كبرى للسياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي المشتركة، وتعمل من أجل تحقيقها، وتبرز في ثلاث نقاط :

- الاستراتيجيات المشتركة: وجود قاعدة مشتركة بين دول الاتحاد الاوروبي فهي تقدم نظرة شاملة واضحة المعالم ومحددة لعلاقة الاتحاد بالأطراف الأخرى.

---

[1] مجدان محمد، "تحديات قيام سياسة خارجية أوروبية موحدة ومؤثرة سياسة أوروبا اتجاه الصراع العربي نموذجا"، مجلة الفكر 11(ب.س.ن):276.

[2] فاطمة حموتة، البعد الثقافي في السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي، 106.

[3] الحسن الحاج علي احمد، العالم المصنوع: دراسة في البناء الإجتماعي،171.

- العمليات المشتركة: وهي العمليات الميدانية التي يقوم بها الاتحاد في اوقات الأزمات سواء بمفرده أو عبر التنسيق مع الفواعل الاخرى .
- المواقف المشتركة : وهي تبين موقف الاتحاد من القضايا الدولية وذلك بإصدار بيانات مشتركة مثل العقوبات الاقتصادية وغيرها.[1]

> "لعبت الهوية الأوروبية الجماعية التي أدت بالدول الأعضاء إلى تبني المعايير الثقافية من ديمقراطية، وحقوق الإنسان، والتعليم وحرية التعبير، وغيرها مما وفر لها فهما مشتركا بأن المصلحة الوطنية تكمن في قيام اتحاد مشترك ، بحيث ينظر اليه من طرف الاخرين كدولة اوروبية متحدة –شرعية ومحترمة".[2]

إن الاتحاد الأوروبي كان تتويجا لمجموع القناعات التي كانت تؤمن بها الدول الأوروبية والتي حددتها – لهم– بالأساس الثقافة بمفهومها الواسع.

[1] مجدان محمد، "تحديات قيام سياسة خارجية أوروبية،277.

[2] فاطمة حموتة، البعد الثقافي في السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي،106.

المطلب الثاني :الرفض الأوروبي لانضمام تركيا للاتحاد

تعد العلاقة بين تركيا والاتحاد الأوروبي الممتدة لأكثر من أربعين عاما، امتدادا وانعكاسا للعلاقات التركية –الأوروبية ذات العمق التاريخي المتجذر، ما يميز هاته العلاقة أنها معقدة ومختلفة عن علاقات تركيا بالمناطق الأخرى، وذلك لخلفيتها التاريخية والثقافية، التي أنتجت أبعادا تتمايز فيها هاته العلاقة عن غيرها، فمأزق–العلاقة–أن التوجه الأوروبي الاستراتيجي يتعامل مع تركيا في إطار هويتها الحضارية.[1]

بالرغم من التوجه الغربي الذي قام به أتاتورك في العشرينيات من القرن الماضي حيث ألغى سنة 1926 العمل بالتقويم الهجري الإسلامي واعتمد بدله التقويم الميلادي كما أعلن سنة 1928 عن إجراءات تقضي بإلغاء مادة الإسلام كدين الدولة التركية و استبدل الحرف العربي في اللغة التركية بالحرف اللاتيني، وفي سنة 1935 غير يوم العطلة من الجمعة المقدس عند المسلمين إلى يوم الأحد، وسعيا منه لجعل هوية تركيا أوروبية قام بإلغاء الطربوش العثماني، و القلبق الشركسي، والعمامة الكردية و استبدلها بالقبعة الأوروبية وفق النمط الغربي .[2]

هاته القطيعة التاريخية مع الماضي الإسلامي التي سعى على تجسيدها كمال أتاتورك بغية الاندماج في الغرب، لم تشفع لتركيا لاحقا بالعضوية في الجماعة الأوروبية كونها – العضوية– تقتصر على الدول الأوروبية المسيحية، إضافة إلى أن الجماعة الأوروبية تشكل تكتلا لمجتمعات ذات قيمة ثقافية وسياسية واجتماعية مشتركة ومختلفة

---

[1] أحمد داود أوغلو، *العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية* (قطر: مركز الجزيرة للدراسات،2010)،537.

[2] خورشيد حسين دلي،" تركيا و قضايا السياسة الخارجية"، منشورات اتحاد كتاب العرب(1999)،22، elibrary.mediu.edu.my/books/MAL05953.pdf

عن تركيا، والكثير من النخبة السياسية الأوروبية تعد تركيا بلدا غير أوروبي رغم أن جزء منها يقع في أوروبا.[1]

إن الاتحاد الأوروبي ناقش نهاية عقد الثمانينات مسألة الانفتاح على المجتمعات ذات المرجعيات الحضارية المختلفة مثل تركيا والشمال الإفريقي و انتهى إلى تبني استراتيجية توسعية تعطي الأولوية للموروثات الرومانية– الجرمانية الأوروبية المقدسة.[2]

وهذا ما تبين جليا مع تصريح الرئيس الفرنسي الأسبق " فاليري جيسكار ديستان" Valéry Giscard D'estaing لصحيفة "لوموند" Le Monde عام 2003 حول موضوع انضمام تركيا للاتحاد بقوله :

> "إن إنضـــمام تركيـــا إلـــى الاتحـــاد الأوروبـــي يعنـــي نهايـــة أوروبـــا فعاصـــمتها ليســـت فـــي أوروبـــا و95% مـــن ســـكانها يعيشـــون خـــارج أوروبـــا، إن لهـــا ثقافـــة مختلفـــة ونهجـــا مختلفـــا، وحيـــاة مختلفـــة، إنهـــا ليســـت دولـــة أوروبيـــة وتاريخيـــا لا تنتمـــي للحضـــارة الأوروبيـــة وعضـــوية تركيا ستعني نهاية أوروبا ".[3]

إن هذا الموقف الأوروبي المتصلب اتجاه انضمام تركيا، هو نتاج لخلفية حضارية بل هو جوهر البعد الثقافي، فالثقافة في هذا الإطار هي :

---

[1] نفس المرجع،24.

[2] داود أوغلو، العمق الإستراتيجي،571.

[3] حسين طلال مقلد، "تركيا و الاتحاد الأوروبي بين العضوية والشراكة"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية 01(2010)،347.

" محصـلة تراكمـات تاريخيـة لعمليـات تراثيـة مسـتمرة علـى طـول زمـن تطـور المجتمعـات عقـديا و اجتماعيـا واقتصـاديا وأخلاقيـا وسلوكيا ".[1]

وبناء على هاته التراكمات، يتساءل المحلل السياسي النمساوي "جورج هوفمان أوستينوف" متعجبا: حول من ينادي بعضوية تركيا في الاتحاد ؟، مذكرا بأن كل مدينة في النمسا لديها قصة شاهدة على رمي النمساويين من المنحدرات الصخرية الشاهقة وصورة الأتراك وهم يشهرون أسلحتهم، فحسبه لابد أخذ بعين الاعتبار هذا العمق الداخلي لدى الشعب النمساوي.[2]

وهذا ما أكده المفوض الأوروبي الهولندي للسوق الأوروبية الموحدة، "فريتز بولكشتاين" Frits Bolkestein بأن قبول تركيا في المنظومة الأوروبية معناه التفريط بدماء وأرواح الذين دافعوا عن فيينا عام 1683، أمام الزحف التركي الإسلامي.[3]

بالنظر إلى العلاقة التركية الأوروبية، نلاحظ أن البعد الحضاري متصل بثنائية الإسلام– الغرب، حاضر في كل زوايا الرؤية الأوروبية ، فالاتحاد الأوروبي ليس مجرد كتلة بشرية أو مساحة جغرافية أو منظمة لها مصالح استراتيجية اقتصادية وسياسية الاتحاد الاوروبي كما يقول "غونتر فيرهوغن" Günter Verheugen المسؤول السابق لشؤون توسيع الاتحاد بأنه:

---

[1] أماني محمود غانم ، *البعد الثقافي في العلاقات الدولية: دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات* (القاهرة :برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات ،2007)،103.

[2] طلال مقلد،" تركيا و الاتحاد الأوروبي، 366.

[3] أحمد محمود العجاج، "تركيا بين خيار الهوية الإسلامية والذوبان الأوروبي" أطلع عليه بتاريخ 25 أفريل2017، http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2004/12/20/%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%88%D8%A8%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%8A

"مجموعـــة مـــن القـــيم والأفكـــار وعلـــى تركيـــا كونهـــا هـــي الراغبـــة فـــي الانضـــمام إلـــى الاتحـــاد أن تختـــار بـــين هـــذه القـــيم وقيمها التقليدية ".[1]

علاقة تركيا بالجماعة الأوروبية كما أشرنا سابقا ممتدة لأكثر من أربعين سنة، حيث بدأت رسميا سنة 1963عندما أصبحت عضوا مشاركا فيه، إلا أنها لم تحقق رغبتها في أن تكون عضوا في الاتحاد الاوروبي، خاصة بفرض المجلس الأوروبي متطلبات ومعايير سياسية واقتصادية إثر انعقاد قمة كوبنهاجن سنة 1993 والواجب توافرها في أي عضو يرغب في الانضمام إلى الاتحاد .[2]

لقد مرت العلاقة بين تركيا والجماعة الأوروبية بعدة محطات نذكر أهمها :

- في سنة 1995، تم توقيع عضوية تركيا في الاتحاد الجمركي، وفي سنة 1996 تم قبولها رسميا.
- في سنة 1999، منحت تركيا وضع العضو المرشح للانضمام إلى الاتحاد، في قمة هلسنكي.
- في سنة 2000، أشارت معظم تقارير المفوضية الأوروبية منذ 1989 حتى الإعلان الذي صدر عن قمة نيس، إلى أن الدوافع التي تحول دون انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي هي دوافع ثقافية وسياسية[3] بالرغم من الإصلاحات التي قامت بها تركيا منذ سنة 1995 أين أقدمت على جملة من التعديلات في المواد الخاصة باحترام حقوق الإنسان من خلال السماح للعمال والموظفين بالعمل السياسي، وخفض سن الانتخاب إلى 18 سنة، والسماح للمعتقلين بالمشاركة في

[1] حيدر جاسم محمد محمود،" واقع السياسة الخارجية التركية حيال الاتحاد الأوروبي ومستقبلها"(رسالة ماجستير، جامعة الشرق الاوسط ،2014)،43

[2] نفس المرجع،39.

[3] طلال مقلد، تركيا والاتحاد الأوروبي، 338.

الانتخابات، مع زيادة أعضاء البرلمان من 450 إلى 550 عضوا، إضافة إلى مجموعة أخرى من الإصلاحات، كل هاته الخطوات مجتمعة لم تكن كافية في نظر الاتحاد الأوروبي لقبول عضوية تركيا، وفي المقابل تم الموافقة على طلب الانضمام لقبرص.[1]

ما رسخ قناعة لدى النخبة التركية أنها غير مرغوبة من طرف أوروبا نظرا للتباين الثقافي والإيديولوجي خاصة مسألة الهوية الإسلامية للمجتمع التركي لأن 99% مسلمون وهذا ما يؤكده المفكر التركي جميل ميرتس حيث قال :

" لـو احترمنـا كـل القـوانين وهـدمنا كـل الجوامـع سـنبقى فـي أعـين أوروبا عثمانيين، والعثماني يعني الإسلامي أي الخطر والعدو".[2]

هاتـه الرؤيـة يؤكـد عليهـا "أحمـد داود أوغلـو" Ahmet Davutoğlu رئـيس وزراء تركيـا السـابق بـأن دخـول تركيـا للاتحـاد الأوروبـي مـع انتمائهـا لوسـط ثقـافي مختلـف وامتلاكهـا بنيـة سـكانية ديناميـة، يثيـر قلـق مسـؤولي الاتحـاد الأوروبـي المشـتغلين بقـراءة التـاريخ، ويعتقـد هـؤلاء المسـؤولين أنهـم يواجهـون ضـغطا يشـبه هجمـات الجرمـان والهـون الدينامية التـي فككـت الإمبراطوريـة الرومانيـة، وبهـذا فـإن تركيـا حسـبهم هـي الطـرف الأقـرب لأوروبـا فـي هـذا الضـغط القـادم مـن الجنـوب، فالغالبيـة العظمـى مـن زعمـاء أوروبـا ومثقفيهـا يعتبـرون تركيـا ثقافيـا إمتـدادا للشـرق ذي المركز الإسلامي[2]

ويعزى الكثير من المحللين الرفض الجماعي الأوروبي لانضمام تركيا في الاتحاد، إلى المتغير الثقافي وتأثيره على صناع القرار، فالثقافة:

---

[1] حيدر جاسم محمد ، واقع السياسة الخارجية التركية،73.

[2] طبي لحسن، "السياسة الخارجية التركية بين البعد الديني والبعد العلماني فترة حكم حزب العدالة والتنمية"(مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر3،2015)،167.

[3] داود أوغلو، العمق الاستراتيجي، 586.

"لا تفـرض خريطـة إدراكيـة علـى الأشـخاص، لكنهـا تـزودهم بمجموعـة من المبادئ التي تضع لهم خريطة الأهداف والمصالح ".[1]

ومن بين المبادئ التي يقوم عليها الاتحاد وتشترك فيه جميع الدول اعتناقهم للديانة المسيحية وتأثيرها في الاتحاد، وهذا ما جعل الرئيس التركي طيب رجب أردوغان يستغرب من الاجتماع الذي عقده زعماء دول الاتحاد مع البابا في الفاتيكان قبل أيام من الفترة التي شهدت العلاقات بين تركيا و الاتحاد الأوروبي توترا حادا، معتبرا – الاجتماع– بالتحالف الصليبي ، وهو من وراء رفض عضوية تركيا في الاتحاد الأوروبي.[2]

إن الفعل الجماعي الأوروبي الرافض لانضمام تركيا لا يزال محدده الأساسي يتمثل في البعد الثقافي والحضاري، حيث يجعل فاصلا بين الهوية الأوروبية والهوية التركية ويفرق بينهما، بل ويحول بين اندماج هاته الأخيرة، ويعتبرها دوما خارج المجموعة الأوروبية.

[1] فاطمة حموتة، البعد الثقافي في السياسة الخارجية ،96.

[2] أردوغان، "التحالف الصليبي يمنع عضوية تركيا بالاتحاد الأوروبي الجزيرة"، أطلع عليه بتاريخ 01 ماي 2017، http://www.aljazeera.net/news/international/2017/4/2/%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%88%D8%BA%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%84%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A-%D9%8A%D9%85%D9%86%D8%B9-%D8%B9%D8%B6%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%8A

المبحث الثالث: البعد الثقافي كمحدد للفعل الجماعي في الأحلاف

من أشهر أشكال التعاون بين الدول و أقدمها حدوثا هو ظاهرة الأحلاف العسكرية، حيث تلجئ إليها الدول لصد عدوان أو خوفا من تهديد، ولكن ما الذي يدفع الدول إلى القيام بهذا الفعل الجماعي وكيف تختار حلفها، نحاول أن نبحث في مدى تأثير البعد الثقافي كمحدد ومكون للأحلاف .

المطلب الأول : حلف شمال الأطلسي من منظار ثقافي

إن الساحة الدولية بتعقيداتها، وتنوع تهديداتها تفرض على الكيانات السياسية (بمختلف أشكالها) أن تخرج من عزلتها وتتعاون فيما بينها، ولعلى أبرز أمثلة التعاون الدولي ذيوعا منذ القدم هو ذلك المعروف باسم: "التحالف" Alliance وهو تعبير يطلق إجمالا على تنظيم أو التزام عدد من الدول باتخاذ تصرفات تعاونية معينة ضد دولة أو دول أخرى في ظروف معينة [1]، والحلف ليس بالشيء الجديد فهو ظاهرة قديمة ، أحسن من عبر عنها "مايكل دونيلان" حيث قال:

> "عندما كان ثمة شخص واحد في العالم عُرِفَ السلام، وعندما كان ثمة شخصان عُرِفَ الصراع، وعندما كان ثمة ثلاثة أشخاص عُرِفَت المحالفات". [2]

إن كلمة حلف يُقْصَدُ بها حسب أرنولد ولفرز Arnold Wolfers بـ :

> "الوعد بتقديم المساعدة العسكرية المتبادلة بين دولتين أو اكثر أو بالقتال جَنْبًا إلى جَنْب ضد عدو مشترك ".[3]

---

[1] محمود عزيز شكري *الأحلاف* والتكتلات *في السياسة العالمية* (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1978)،8.

[2] ممدوح محمود مصطفى منصور، *سياسات التحالف الدولي*،(مصر: مكتبة مدبولي،1997)136.

[3] نفس المرجع،139.

يُحَدَّدُ هدف الحلف حسب التمييز بين الأحلاف الدفاعية والهجومية، وتكون الأحلاف دفاعية عندما تتعهد الدول الأعضاء بالمشاركة الجماعية في الدفاع عن بعضها البعض، في حال حدوث اعتداء من دولة غير عضو على أي من أعضاء الحلف ويسمى هذا بحلف الأمن الجماعي، ومن أشكاله معاهدة منظمة حلف شمال الأطلسي: North Atlantic Treaty Organisation، وهي التي تأسست[1] :

" في عام 1949 ومقرها بروكسل وهي موكلة بحماية أمن أوروبا الغربية، ومفوضة تحديدا بحماية حرية أعضائها وأمنهم والحفاظ على الاستقرار ضمن منطقة أوروبا الأطلسية، وتولي أمر الأزمات الدولية والحؤول دونها، والعمل بصفتها منتدى استشاريا على قضايا الأمن الأوروبية، وأخيرا دعم قيم منظمة الامم المتحدة وتعزيز الديمقراطية وحقوق الانسان والقانون الدولي، أساسا، ناتو هي منظمة دفاع جماعية ترى في الهجوم العسكري على احدى دولها الاعضاء هجوما على الدول كلها".[2]

في نطاق علم المعرفة يقول الفيلسوف الإنجليزي "دافيد هيوم" David Hume بأن "لكل ظاهرة علة ومعلول"، وبناءً على هذا فإننا نبحث في أسباب تكون الأحلاف العسكرية باعتبارها ظاهرة دولية ذات بعد اجتماعي [3]، وكيف يتم اختيار الحلفاء؟ ومدى تأثير الخلفية الفكرية المشتركة للدول الأطلسية في تشكل الفعل الجماعي –الحلف الأطلسي– ؟ ، تنطلق دراستنا بأن المدخل المناسب لفهم ظاهرة الأحلاف هو العودة بها إلى منشأها، أي أين تبلورت أولى أفكارها.

يرى البعض أن التكتل الأطلسي كان موجودا فعلا قبل عقد الحلف رسميا فوجوده في رايهم يرجع إلى التحالف الذي ربط كلا من انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية

---

[1] مزيان رياض، "الحلف الأطلسي كأداة لتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية"(رسالة ماجستير، جامعة باتنة،2005)،11.

[2] غريفتش وأوكلاهان ، المفاهيم الاساسية في العلاقات الدولية،416.

[3] مزيان رياض، "الحلف الأطلسي،13.

قبل الحرب العالمية الاولى وتمتد جذوره الى التراث المشترك بين أوروبا وأمريكا، ولما اشتدت الحرب بين المعسكرين الشرقي والغربي وازدياد النفوذ السوفياتي في اوروبا، رات كل من فرنسا وانجلترا وبلجيكا ولوكسمبورغ أن مصالحها تقتضي ان تتحالف عسكريا وقد تم ذلك في ميثاق بروكسل في 17 مارس 1948 [1] ، ولكن سرعان ما تبين أن تلك الدول غير قادرة بمفردها على الوقوف في وجه ما أعتبر توسعا سوفياتيا في الغرب دون مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية ، لتنضم إلى التحالف من خلال مبادرة السناتور الأمريكي أرتير فاندنبرح Vandenberg الذي عرضها على مجلس الشيوخ الأمريكي وتمت الموافقة على الانضمام بأغلبية 82 صوتا مقابل 13 صوتا معارضا.[2]

وهناك من يعتقد أن البدايات الأولى لفكرة إنشاء حلف شمال الأطلسي تعود لكتابين أمريكيين وهما :

الكتاب الاول : تحت عنوان "الاتحاد في الحال" لمؤلفه "كلارس ستريت"عام 1939 وكانت فكرته الأساسية تدور حول إقامة اتحاد بين الدول الديمقراطية والتي تضم حسبه كل من: الولايات المتحدة، وكندا، وبريطانيا، وإيرلندا، وبلجيكا، وهولندا، والسويد، والنرويج، والدنمارك، وسويسرا، إلا أن الفرصة لم تتوج بالنجاح بسبب إعلان هتلر الحرب سنة 1939.

الكتاب الثاني : فكان للكاتب "والتر ليبمان" Walter Lippmann تحت عنوان "السياسة الخارجية للولايات المتحدة" سنة 1943، وتدور فكرته الاساسية حول ضرورة تكتل الدول والشعوب الواقعة حول المحيط الأطلسي لاسيما إنجلترا و الولايات المتحدة الأمريكية.[3]

---

[1] محمود عزير، الأحلاف والتكتلات،34.

[2] نفس المرجع.

[3] تباني وهيبة،" الأمن المتوسطي في استراتيجية الحلف الأطلسي دراسة حالة: ظاهرة الإرهاب"(مذكرة ماجستير، جامعة تيزي وزو، 2014)،98.

في حين يذهب آخرون أبعد من ذلك، حيث يرجعون التحالف إلى أساس ديني منذ الانقسام الأول الذي حصل سنة 1054 في العالم المسيحي[1]، الذي جاء بعد قرون من النزاع المتواصل بين رؤساء الكنيسة المسيحية في من له الحق في تزعم الكنيسة بعد المسيح، فكل رئيس طائفة من الطوائف المسيحية طالب بذلك، على سبيل المثال بطرك كنيسة الأرمن، وبطرك* القسطنطينية، وبطرك أثينا باليونان، وبطرك القدس، والبطرك الكاثوليكي في روما، ليشتد الصراع في القرن الحادي عشر بين هذا الأخير وبطرك القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية زعيم المذهب الأرثوذكسي، وبدأ حينها النفور بين الشرق والغرب، وتزامن إنشار المذهب الأرثوذكسي في روسيا متبعة بذلك بطرك القسطنطينية، وبعد أن دخل الأتراك القسطنطينية في سنة 1453 وأصبحت مسلمة، أخذ رؤساء الكهنة في روسيا ينظرون لأنفسهم كورثة لزعامة المذهب الأرثوذكسي وورثوا بذلك النفور بين الشرق والغرب، ومنذ أوائل القرن التاسع عشر بدأت المنافسة من جديد بين بريطانيا وروسيا في منطقة آسيا وبالخصوص شمال الهند، وأفغانستان و إيران.[2]

بما أن جذور نشأة الحلف كانت ذات طبيعة دينية وإرث مشترك، من مختلف القيم كوجوب أن تكون الأنظمة السياسية للحلفاء ذات طابع ديمقراطي، ومن هذا المنطلق عارضت الدول الإسكندنافية الأعضاء في الحلف، أولى تجارب الانضمام وكان ذلك في مؤتمر لشبونة بالبرتغال 1952عندما تم اقرار توجيه الدعوة إلى كل من تركيا واليونان لعضوية الحلف، معتبرة بذلك قرار انضمام تركيا يعد خرقا لشروط الحلف إشارة منها

---

[1] مزيان رياض، الحلف الأطلسي،25.

بطرك : كلمة يونانية مكونة من شطرين، ترجمتها الحرفية "الأب الرئيس"، أما في المسيحية، فتتخذ الكلمة معنى رئيس الأساقفة في الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية.

[2] نفس المرجع،26.

إلى طبيعة النظام السياسي التركي، فحسبهم انه لا يراعي أدنى شروط التعامل الديمقراطي.[1]

وبالرغم من انضمام تركيا للحلف ويعود ذلك لاعتبارات استراتيجية، إلا أنها تظل من الحالات الاستثنائية ، فالحلف الاطلسي لم يستغني عن أهم المبادئ التي قام عليها و الذي تشترك فيه الدول الأعضاء، وبالرغم من تغير الظروف وتغير الزمان إلا أنه استمر على نهج نفس السياسة .

ترى البنائية أن الدول لا تتحالف لمواجهة قوة مجردة، إنما ضد نوع معين من القوة وهي بذلك تنتقد الواقعية، وتعتقد أن ما ينقص الواقعية هو وجود نظرية لإدراك التهديد، وهو ما يمكن ان يفسر نمط التحالفات الذي ظهر بعد الحرب العالمية الثانية، فانطلاقا من نظرية توازن القوة يجب أن يقوم التوازن ضد الولايات المتحدة الامريكية وليس الاتحاد السوفياتي، ولكن إدراك فرنسا وبريطانيا وألمانيا للاتحاد السوفياتي قادهم إلى التحالف ضده.[2]

وعلى الرغم أن ستيفن والت ينتمي إلى المدرسة الواقعية يؤكد :

"بـــأن نظريـــة تـــوزان القـــوى التقليديـــة لا تقـــدم تفســـيرا مقنعـــا للتحالفـــات، فوجـــود القـــوة المجـــردة وحـــدها لـــيس مبـــررا كافيـــا للتـــوازن ضدها".[3]

كما أشرنا سالفا، بأن الحلف مستمر على تبني أهم المبادئ التي قام عليها حيث تتلخص وظيفته السياسية بعد الحرب الباردة، في دعم وترسيخ عمليات التحول الديمقراطي والسياسي للدول الاوروبية التي كانت تحت سيطرة الاتحاد السوفياتي سابقا لاسيما دول اوروبا الشرقية والوسطى وجمهوريات الاتحاد السوفياتي المفكك، ولكي يقوم

[1] تباني وهيبة، "الأمن المتوسطي في استراتيجية الحلف الأطلسي،105.

[2] الحسن الحاج علي أحمد، العالم المصنوع: دراسة في البناء الإجتماعي،181.

[3] نفس المرجع.

الناتو بهذه الوظيفة الجديدة عقد اتفاقية برنامج "الشراكة من أجل السلام" مع هذه الدول من اجل حل مشكلاتها بالطرق السلمية، على جانب إدخال المفاهيم والقيم الديمقراطية في أنظمتها، وبهذا يكون الحلف قد نصب نفسه كمدافع عن الديمقراطية وحقوق الانسان، والهدف من هذه الوظيفة هو دمقرطة الأنظمة السياسية خاصة في أوروبا.[1]

وبهذا فإن الحلف تَشَكَّلَ وُفقَ ثوابت مشتركة يؤمن بها الحلفاء، كما يساهم من خلال ترويجه لبعض المفاهيم، في تَشَكُّلَ السياسة العالمية و الأوروبية بالخصوص، وهذا ما يَقْصِدُ به البنائيون بأن " الْعَالَمَ من صُنْعِنَا ".

[1] تباني وهيبة، الأمن المتوسطي في استراتيجية الحلف الأطلسي،118.

المطلب الثاني: القومية العربية كمحدد للحلف العربي

إذا كانت معظم الأحلاف يتقاسم أعضائها قيم مشتركة، ففي الغالب تكون هي الدافع لتشكله، بل تمنحه–الحلف– هوية جماعية و تحدد من خلالها مصالح الدول كما تميز لهم الصديق من العدو، وهذا ينطبق أيضا على الدول العربية.

فكرة إنشاء حلف عربي تعود إلى الثلاثينات من القرن الماضي، حيث طرح ملك العراق فيصل الأول سنة 1931 مشروع إقامة حلف عربي يجمع العراق والأردن والسعودية واليمن ، وهو ما عكس مخاوف الملك و مخاوف هاته الدول مما يضر بأمنها.[1]

إلا أن أول كيان استطاع أن يضم الدول العربية تحت لوائه، هي جامعة الدول العربية، فهي أقدم من الأمم المتحدة من حيث الوجود، أنشأتها سبع *دول عربية في 22 مارس 1945 بعد جُهْدٍ من المناقشات، وبدعم من الحكومة البريطانية ، ليتوسع عدد أعضائـها حتى باتت تضم اثني وعشرين عُضْوًا، تقتصر عضويتها على الدول التي تُعَرِّفُ نفسها بأنها عَرَبِيَّةٌ، أما أهدافها فقد حددتها المادة الثانية من الميثاق[2][1]، وهي:

> تقويـة علاقـات الـدول الأعضـاء وتنسـيق سياسـاتها لحمايـة سـيادتها واسـتقلالها ، وتحقيـق التعـاون الوثيـق فيمـا بينهـا فـي مجـالات الاقتصـاد والمـال والقـانون والثقافـة والمجتمـع والصـحة وسـواها، ومـن أهـدافها أيضـا الاهتمـام بشـؤون البلـدان العربيـة ومصـالحها، وجوانـب حياة العرب كلها وعلاقتهم بالعالم".[3]

---

[1] طلعت مسلم ،"تفعيل وتطوير اتفاقية الدفاع العربي المشترك ومشروع تأسيس قوة عربية مشتركة": 122، www.caus.org.lb/Home/down.php?articleID=5327

*الدول العربية السبعة المنشئة للجامعة العربية هي: مصر، العراق، سوريا، لبنان، الأردن، السعودية، اليمن

[2] أحمد علي سالم، *الأمن الجماعي في جامعة الدول العربية بين النظريات الواقعية والبنائية* (قطر : مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2016)،112.

[3] نفس المرجع،113.

هذا ما جعل أحد الباحثين في الشؤون العربية يقدم دراسة كمية، حيث أحصى سبع عشرة حالة فقط من الحروب والأزمات والتدخل العسكري بين الدول العربية في الفترة الممتدة من 1945–1977، ويرى فريق من المدرسة البنائية أن هذه الظاهرة لا يفسرها غياب سلطة حاكمة في النظام الدولي، بل قدرة الفكرة القومية على ضَبْطِ سياسات هذه الدول بعضها ببعض، فمصالح الدول العربية مبنية على اشتراكها في هوية عربية واحدة ولو ظاهريا.[1]

إن الهوية العربية هي من دفعت بالدول العربية إلى التحالف لِمُجَابَهَةِ كل تهديد يخصهم ، ففكرة التضامن الجماعي العربي ضد العدوان متأصلة في ميثاق جامعة الدول العربية، فقد جاء في المادة السادسة من الميثاق ما يلي :

"إذا وقع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة أو خشي وقوعه فللدولة المعتدى عليها أو المهددة بالاعتداء أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فورا".[2]

وبدى ذلك جليا مع التضامن العربي الجماعي بعد الهزيمة مع الكيان الصهيوني سنة 1948، وكان أهم ما أثر في القتال فقدان القيادات السياسية، والقيادات العسكرية الموحدة ما أوحى للدول العربية بضرورة العمل على قيام تعاون سياسي وعسكري عربي مشترك، وأعيد طرح فكرة الأمن الجماعي، واعتبرت جامعة الدول العربية الاطار الذي يتيح للعرب تبني فكرة بديلة تستند إلى العمل العسكري الموحد.[3]

وعليه أبرمت الدول العربية في 17 جوان 1950 ما يُعْرَفُ باتفاقية الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي لدول الجامعة العربية أو ما يصطلح عليه "بالْحِلْف الْعَرَبَي" [4]

---

[1] نفس المرجع، 120.

[2] محمود عزير، الأحلاف والتكتلات،69.

[3] طلعت مسلم ،"تفعيل وتطوير اتفاقية الدفاع العربي،122.

[4] محمود عزير، الأحلاف والتكتلات،70.

يسعى الحلف العربي لتحقيق أهداف الدول العربية ، والتي نصت عليها مقدمة الاتفاقية وهي كالآتي:

"رغبة منا في تقوية الروابط وتوثيق التعاون بين دول الجامعة العربية حرصا على استقلالها، ومحافظة على تراثها المشترك واستجابة لرغبة شعوبها في ضم الصفوف، لتحقيق الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الامن والسلام وفقا لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الامم المتحدة".[1]

وفي أعقاب نكسة 1967 ، دعت السودان مباشرة إلى عقد مؤتمر قمة عربية في الخرطوم عُرِفَتْ باسم مؤتمر (اللاءات الثلاث) وهي لا سلام، ولا تفاوض، ولا اعتراف بإسرائيل، وأصدر المؤتمر عددا من القرارات الدفاعية والعسكرية من شأنها تحرير الأراضي العربية المحتلة ، وقد جاء في القرار ثانيا :

"قرر المؤتمر ضرورة تضافر جميع الجهود لإزالة آثار العدوان على أساس أن الأرض المحتلة أراضي عربية يقع عبئ استردادها على الدول العربية جميعا" [2]

إن الدول العربية بتحالفها مع بعضها في شكل جامعة الدول العربية ، كانت تتحرك وفق ما تمليه المعايير عليها ، فاللسان العربي هو من كان يحدد معالم الحلف والدول تتفاعل من خلاله ، ولقد استطاعت الجامعة أن تقدم بعض الدعم للدول العربية بالرغم من النقائص التي تعتريها ، نذكر منها، أنها قامت على :

- تأييد قضايا الاستقلال الوطني للشعوب العربية: لا يوجد ثمة خلاف لدى جميع الباحثين العرب حول الدور الذي لعبته جامعة الدول العربية ،في مجال تقديم المساعدة للبلدان العربية في صراعها ضد الاستعمار، وذلك على امتداد الوطن

[1] نفس المرجع،71.

[2] الطاهر بن عريفة، *الجامعة العربية والعمل العربي المشترك1945-2000*(الاردن: دار زهران للنشر والتوزيع 2010)،143.

العربي، وبالخصوص الشعب العربي في كل من تونس والمغرب والجزائر واليمن وفلسطين.

- قضية فلسطين: منذ قيام الجامعة و القضية الفلسطينية هي القضية المحورية للجامعة، فعلى إثر قيام احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية 1948 بادرت جامعة الدول العربية إلى التدخل لمواجهة هذا الوضع الجديد، متخذة مجموعة من القرارات لمقاطعة إسرائيل اقتصاديا، ومقاطعة كل الدول التي تتعاون معها في أي مجال من المجالات الاقتصادية أو الثقافية أو غير ذلك، بل وتم انشاء اتفاقية الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي بين دول الجامعة سنة 1950.[1]
- نجاح الجامعة العربية في تشكيل قوة مشتركة تحت قيادة موحدة لإنجاز عمل قومي محدد يتمثل في حل النزاع العراقي الكويتي عام 1961، حيث نجح العمل العربي الجماعي في إطار الجامعة في حله وضمان انسحاب القوات الأجنبية (البريطانية) من الكويت.[2]

وبهذا تكون الدول العربية وإن فشلت على تحقيق مكاسب حقيقة على أرض الواقع إلا أنها أكدت بأن للمعايير والثقافة دور كبير في أسباب نشوء الاحلاف وليست المصلحة فقط كما تدعي بذلك النظرية الواقعية .

[1] أحمد الرشيدي،" الجامعة العربية: 55 عاما على طريق العمل العربي المشترك"، أطلع عليه بتاريخ 25 ماي2017، http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/ecd3c13c-0b88-43e2-90dd-557f6a5ee2af

[2] طلعت مسلم ، تفعيل وتطوير اتفاقية الدفاع العربي،124.

الفصل الثالث

محاربة الإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 :
"دراسة في حرب العراق"

المبحث الأول : تأثير النظام الدولي الجديد على العلاقات بين الدول

لقد شهدت العلاقات الدولية عقب انهيار الاتحاد السوفياتي ميلاد نظام عالمي جديد كتب عن ماهيته الباحثين وتساءلوا حول آلياته، وعن تأثيره على الواقع الدولي كما بحثوا في الموضوعات الجديدة التي كانت من مخرجاته.

المطلب الأول: النظام الدولي الجديد

إذا كانت قمة (يالطا) التي عقدت 1945 على شاطئ البحر الأسود، بين "ستالين" "وروزفلت" و"تشرشل"، شكلت بداية مرحلة جديدة رسمت من خلالها الواقع السياسي في العالم الى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وحددت مناطق النفوذ بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي عبر ميكانزيم توازن القوى الذي انتهت اليه الحرب، فان قمة (مالطا) 1989عملت على إنهاء ذلك النظام.[11]

ارتبط مفهوم النظام العالمي الجديد بتاريخ انتهاء نهاية الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفياتي وذلك من خلال إعادة صياغة مفهوم العلاقات الدولية، ومحاولة تنظيمها في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وفق منظور الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تم الإعلان عن النظام العالمي الجديد في حرب الخليج (1990-1991) حيث صرح جورج بوش الأب أن إقامة نظام عالمي جديد من أهم أهداف الولايات المتحدة الأمريكية.[2]

إن التحولات التي عرفها العالم بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وتبني النظام الاقتصادي الليبرالي في معظم الدول الاشتراكية السابقة هيأ الظروف لتكون الولايات

---

[1] عبد القادر المخادمي ، *النظام الدولي الجديد الثابت والمتغير* (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،2010)،61.

[2] عبد السلام جمة زاقود ، *الأبعاد الاستراتيجية للنظام العالمي الجديد* (الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع ،2014)،11.

المتحدة الامريكية القوة العظمى الوحيدة على الساحة الدولية، وسعت لفرض هيمنتها الكاملة على العالم عبر ما أسمته بالنظام الدولي الجديد.[1]

اما تحديد معالمه–النظام العالمي الجديد– فقد شكلها خطاب بوش أمام الكونغرس الامريكي، حيث قال :

"بأننا نتطلع الى نظام عالمي جديد يصبح أكثر تحررا إزاء التهديد بالإرهاب ،وأكثر مناعة في إقرار العدالة، وأكثر أمنا في السعي من أجل السلام، إننا نتطلع الى عالم جديد يسوده القانون بدلا من شريعة الغاب، وتعترف فيه الأمم المتحدة بمسؤولياتها المشتركة في تحقيق الحرية والعدالة"[2].

طرأ على النظام الدولي الجديد عدة تحولات، ميزته عن الأنظمة الدولية السابقة (متعدد الاقطاب ، ثنائي القطبية) نلخصها فيما يلي :

التحولات الجيوسياسية: التي ترتبت عن اعادة توزيع عناصر للقوة بين اطراف النظام الدولي وانعكست على الجغرافيا السياسية بزوال الاتحاد السوفياتي وتفكك الكتلة الشرقية ثم توسيع الاتحاد الاوروبي والحلف الأطلسي والنظر من جديد في مسالة الحدود، ولأول مرة منذ القرن الخامس عشر يحدث تغير في النظام الدولي بدون حرب.

التحولات الاقتصادية: اتضحت مع تبني نماذج تنموية قائمة على اقتصاد السوق والانفتاح على الخارج ، باختصار: عولمة الاقتصاد.[3]

التحولات القيمية: بعد سقوط الاتحاد السوفايتي برزت نظريتان من أجل تقديم منظور بديل للعدو التقليدي، الأولى نظرية نهاية التاريخ "لفوكوياما" التي تؤكد أن آخر شكل في التنظيم الاجتماعي هي الليبرالية الغربية ولا يمكن تجاوزها، الثانية نظرية صدام

---

[1] مدحت أيوب، *الأمن القومي العربي في عالم متغير*(مصر: مكتبة مدبولي،2003)101.

[2] نفس المرجع،100.

[3] مصطفى بخوش،"مضامين ومدلولات التحولات الدولية بعد الحرب الباردة، مجلة العلوم الانسانية 30(2012):162.

الحضارات "لصمويل هينتنغتون" التي قدمت صراع الحضارات والثقافات بعد الحرب الباردة كبديل للصراع الإيديولوجي الذي ساد اثناء الحرب الباردة [1]

إلى الآن لا يزال يختلف –الباحثين– حول الملامح الرئيسية للنظام الدولي الحالي، هل هو نظام متعددة الأقطاب، أو نظام أحادي القطبية، حيث لا يزال قرينا بالحرب الباردة، بالرغم من مرور عقدين من الزمن على نهايتها، لم تتضح رؤيته وهي فترة كفيلة لاتضاح معالم أي نظام عالمي جديد[2]، ما جعل من وزير الخارجية الأمريكي الأسبق"جيمس بيكر "James Baker يصفه بأنه:

> " نظاما يبحث عن هوية، وتتعدد في توصيفه الرؤى والتوجهات مابين النظر إليه باعتباره نظام القطب الواحد المهيمن، أو إدراكه نظام تعدد القوى أو التسليم بأنه نظام مازال في طور التكوين وتبقى ابرز سماته ممثلة بهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى وحيدة في بنية النظام الدولي وعالم ما بعد الحرب الباردة".[3]

قبل التطرق إلى ماهيته، علينا إبراز أهم ملامحه، والآليات التي يقوم عليها :

أولا: ملامح بروز النظام العالمي الجديد:

- سقوط الأنظمة الشيوعية بأوروبا وظهور أحزاب سياسية ديمقراطية في دولها ;
- تحطيم جدار برلين في التاسع عشر من جانفي 1989 وإعلان توحيد الألمانيتين;
- فتح باب الاستثمارات أمام الشركات متعددة الجنسيات;
- تراجع الدور الروسي في القضايا الدولية ;

---

[1] نفس المرجع.

[2] أحمد علي سالم، القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة،127.

[3] خالد جميل عبد الوهاب القطراوي ،"التحولات في بنية النظام الدولي وأثرها على السياسة الإسرائيلية"(رسالة ماجستير جامعة الأزهر غزة،2014)،36.

- الاندماج التدريجي لدول أوربا الشرقية في الاتحاد الأوروبي.[1]

ثانيا: آليات تحقيق النظام الدولي الجديد:

يتكون النظام الدولي الجديد من مؤسسات فاعلة تعمل على تنفيذ برامجه وهي:

- **أولا: المؤسسات المالية والاقتصادية العالمية:** تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية كأدوات اقتصادية لفرض هيمنتها على الدول الضعيفة وارغامها على القبول بالنظام الجديد وتتضمن:

✓ صندوق النقد الدولي ؛

✓ البنك العالمي؛

✓ المنظمة العالمية للتجارة الحرة.

- **ثانيا: هيئة الأمم المتحدة:** تستخدم كأداة سياسية لمنح الشرعية الدولية للتدخلات الاجنبية للدول الكبرى مثل حالة العراق وقضية دارفور في السودان.
- **ثالثا: الحلف الأطلسي:** وهي الاداة العسكرية التي تراهن عليها الولايات المتحدة الأمريكية لفرض هذا النظام بقوة السلاح [2]

وفي هذا السياق أعلنها صراحة الرئيس الأمريكي بوش في الثامن من ماس عام 1991 حيث قال:

"نحن مستعدون أن نلجأ للقوة لندافع عن النظام الجديد الذي يرى النور بين دول العالم ".[3]

رابعا: المنظمات غير الحكومية: يستغل –النظام –تقارير هاته المنظمات بغرض التدخل في الشؤون الداخلية.

---

[1] محمد ضياء الدين محمد ،اتجاهات العلاقات الدولية بعد احداث 11سبتمبر، أطلع عليه 20 ماي 2017، https://www.google.dz/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwjqgMSeha7UAhWCOhQKHeR3AHUQFgggMAA&url=http%3A%2F%2Fwww.alukah.net%2Fbooks%2Ffiles%2Fbook_3681%2Fbookfile%2Fahdas-11sebtamer.docx&usg=AFQjCNGTGh2Wia_CRSdVX_jE374eSrGrhQ

[2] عبد القادر رزيق، النظام الدولي الجديد،45.

[3] عبد السلام جمة، الأبعاد الاستراتيجية للنظام العالمي الجديد،21.

- **خامسا: الشركات متعددة الجنسيات :** تستخدم في استنزاف مقدرات الدول ما يؤدي بإضعافها.

سادسا: وسائل الإعلام : من أهم المؤسسات الفاعلة في هذا النظام، حيث تسيطر وكالات الأنباء على تدفق المعلومات في العالم، وتكرسها من اجل ترسيخ أفكار الغرب وتمرير رسالته الحضارية.[1]

من خلال المؤسسات سالفة الذكر، والتي تعتبر كمَساقَات و بِنْيَاتٍ للهيمنة توظفها الولايات المتحدة الأمريكية من أجل بسط نفوذها، إضافة إلى قوتها العسكرية و قدراتها التكنولوجيا وإمكاناتها الهائلة التي تؤهلها أن تقود النظام العالمي الجديد بمفردها، وعلى هذا النحو يقول غسان سلامة :

> إن أمريكا اليوم هي اثنيا في تفوقها العلمي والسياسي والتنظيمي وهي اسبرطة في تفوقها العسكري حيث يبلغ إنفاقها العسكري 45% من الإنفاق العالمي ، الأمر الذي يضعها ليس في وضع التفوق وإنما في وضع الهيمنة الكاملة على المستوى العالمي ، لان من له هذا التفوق العسكري يميل بالطبيعة إلى استعماله مبررا إلى أقصى حد سبل تدخله في العالم ".[2]

وبرز هذا الانفراد جليا في تهميش الولايات المتحدة الأمريكية لدور الأمم المتحدة في حل الصراعات الدولية، وعدم التزامها بالمعاهدات الدولية التي وقعتها مثل انسحابها من معاهدة كيوتو لضبط المناخ العالمي، ومعاهدة حظر انتشار الصواريخ، ورفضها الانضمام إلى المحكمة الجنائية الدولية، وسعيها لعقد اتفاقيات ثنائية مع الدول من أجل عدم متابعة ومحاكمة ضباطها وجنودها.[3]

---

[1] عبد القادر رزيق، النظام الدولي الجديد،46.

[2] باهي سمير، "تأثير التحولات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة ل السياسات الخارجة للدول المغاربية"(رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة ،2011)،24.

[3] خالد جميل عبد الوهاب ، التحولات في بنية النظام الدولي ،37.

خصائص النظام الدولي الجديد

- يختلف النظام الدولي الجديد في هذه المرحلة عن النظام القديم (ثنائي القطبية) من حيث الظروف التي برز فيها، حيث ظهر في ظروف سلمية وليس نتيجة لحرب شاملة مثل الحرب العالمية الثانية.
- النظام الدولي الجديد يعتبر ذو إيديولوجية أحادية غربية رأسمالية، وذي نظام اقتصادي واحد (نظام رأسمالي ليبرالي عالمي) على خلاف النظام القديم.[1]
- يتميز المظهر الخارجي للمجتمع الدولي الحالي بسيطرة أفكار وثقافة غربية في كل جوانبها، رغم وجود تعدد الثقافات وتعدد النظم السياسية.
- تصور الغرب في النظام الدولي الجديد بعد انهيار الشيوعية انه اصبح يواجه الآن مشروعا حضاريا يتمثل في الإسلام.[2]
- **غياب العدو:** بعد تفكك الاتحاد السوفياتي برز توجه لإحلال السلام بدل الشيوعية من اجل ضمان التماسك وذلك بتوظيف مسألة الهوية أو الحضارة للتأكيد على أن الخطر الأكبر في المستقبل هو في القطيعة الثقافية بين الشمال والجنوب، وبين الشرق والغرب، وبين المسيحية والإسلام، والمأساة في البوسنة وكوسوفو بينت حدة التناقض إلى درجة التطهير العرقي، إن محاولة إحلال الإسلام محل الشيوعية وجدت قاعدة معرفية ترتكز عليها، فالمقاربة الصدامية لهينتنغتون ورؤية بعض مسئولي الحلف الأطلسي تطرح مسألة غياب عدو يمكن أن يؤدي دورا من خلاله يضمن الغرب تماسكه.[3]

وهذا ما أشار إليه المحلل الفرنسي الجنرال Eric De Lamaisonneuve حيث صرح قائلا:

---

[1] براهيم احمد، "الدولة العالمية والنظام الدولي الجديد"(اطروحة دكتورة، جامعة السانيا وهران ،2010)،96.

[2] نفس المرجع.

[3] مصطفى بخوش، "مضامين ومدلولات التحولات الدولية بعد الحرب الباردة، 170.

"كان لدى العدو السوفياتي كل مزايا العدو الجيد ، فهو صلب وثابت، ومتماسك، كان يشبهنا عسكريا ، فهو مبني وفق النموذج الكلاوزوفيتزي الأكثر نقاء ، مثير للقلق بالطبع لكنه معروف ويمكن توقع خطواته ، إن غيابه يخرق تماسكنا ويجعل قوتنا غير مجدية".[1]

إن تأثير غياب العدو على المنظومة الغربية كانت من مدركات صناع القرار لاتحاد السوفياتي، حيث قال "الكسندر ارباتوف" Alexandre Arbatov المستشار الدبلوماسي "لميخائيل غورباتشوف" Michail Gorbatchev جملته الشهيرة :

" سنقدم لكم أسوء خدمة ، سنحرمكم من العدو !".[2]

وهو الأمر الذي سعى "برنارد لويس "Bernard Lewis إلى إيجاده في كتاب "الإسلام والغرب" حيث عقدت حوله الندوات، منها التي عقدت في برلين سنة 1996 لمناقشة نظرية صدام الحضارات مطبقة على ظروف البحر الأبيض المتوسط وخلصت بان الصراع سيكون بين الحضارات المسيحية واليهودية في الشمال، والإسلام في الجنوب ، وهذا ما أشار إليه فيلسوف المتوسط "برودال"Braudel حيث طرح مصطلح الحضارة كخط موجه يسمح بفهم الواقع المتوسطي و الدولي، ويرى بأن منطقة المتوسط توجد بها ثلاث مجموعات ثقافية حضارية تتدافع فيما بينها عبر التاريخ متجاوزة حدود الدول (الغرب، والإسلام، والعالم اليوناني) هذه الثلاثية تشكل حسبه دائما أعداء متكاملين.[3]

---

[1] بيار كونيسا، *صنع العدو أو كيف تقتل بضمير مرتاح*، تر. نبيل عجان (قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015)،23.

[2] نفس المرجع، 14.

[3] مصطفى بخوش ،*حوض البحر الابيض المتوسط بعد نهاية الحرب الباردة*(مصر: دار الفجر للنشر وتوزيع،2006)،30-31.

ما يميز النظام العالمي الجديد أنه استدعى منظار الثقافة لفهم السلوك السياسي وهذا ما تحدث حوله جيمس بيكر عن تأثير الثقافة في تشكيل السياسة الخارجية، وقال بأنها ستصبح عنصرا لا يقل أهمية عن تأثيرات التحولات العالمية بعد انتهاء الحرب الباردة على صناعة السياسة الخارجية.[1]

[1] حمدوش رياض، "تأثير السياسة الخارجية الامريكية على عملية صنع القرار في الاتحاد الأوروبي"(أطروحة دكتورة، جامعة منتوري قسنطينة، 2012)،266.

المطلب الثاني: تأثيرات أحداث 11 سبتمبر على النظام الدولي

إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر تعتبر من أهم المحطات التي يجب أن يقف عندها كل باحث أكاديمي وصانع قرار، فهي من أبراز الأحداث بعد الحرب الباردة حيث ترى الباحثة نادية محمود مصطفى بأن مرحلة ما بعد الحرب الباردة مرت بثلاث محطات أساسية تتعلق بتوازنات القوى الدولية ، هاته المحطات هي: حرب الخليج، وحرب كوسوفو وأحداث 11 سبتمبر، فخلال عقد من الزمان من انتهاء الحرب الباردة جاءت هاته المحطات الكبرى بكثير من الدلالات تختزل في مفهوم أساسي وهو خروج النظام الدولي وعلى رأسه دولة عظمى وحيدة، وخروج النظام الدولي وعلى أجندته مجموعة من القضايا ليست القضايا العسكرية الأمنية التقليدية، ولكن مجموعة من قضايا جديدة، وعلى رأسها ما يُسمَّى بالإرهاب وانتشار الحركات الإسلامية، وأسلحة الدمار الشامل.[1]

لقد كانت الإيديولوجيا على مدى أكثر من نصف قرن هي المحرك الأساسي للتفاعلات الدولية وهي مبنية على فكرة أن الخلاف مع الآخر ينبثق من الاختلاف معه في تقييم الأمور العامة فلا يهم المنشأ، أو الدين، أو العرق، بقدر ما يهم التوافق في الرؤى والتوجهات العامة، ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفياتي برزت التمايزات القائمة على الثقافة والدين من خلال طبيعة النزاعات العرقية وتعددها، كما برز تأثير البعد الثقافي في النظام الدولي الجديد جليا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001.[2]

مع أحداث 11 سبتمبر تجددت الجدالات حول العلاقة بين الحضارات بقوة، وتم استدعاء مقولات هينتنغتون وما يقابلها من نقد، ولكن السياق هنا كان أكثر تدهورا من

---

[1] نادية محمود مصطفى،" بعد11 سبتمبر.. أي مستقبل للنظام الدولي"، أطلع عليه بتاريخ 05 جوان2017، https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=483388

[2] باهي سمير، "تأثير التحولات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة ،32.

حقب التسعينيات، حيث تحول الإسلام من مصدر التهديد المحتمل إلى مُتَّهَمٍ، ويرى البعض أن الهجمات على نيويورك وواشنطن دليل على "الغضب الإسلامي" ضد سيطرة السياسات الغربية وقيمها.[1]

تعتبر –الجماعات الإرهابية– اشد الظواهر غموضا من حيث الوصول إليها فهي جماعات متفرقة وأسلحتها غير معروفة وضربتها غير متوقعة، فضرب برجي مركز التجارة العالمي كان بمثابة إعلان هذه الحرب، وبناء على ذلك استبدل الرئيس بوش مصطلح إمبراطورية الشر، بمحور الشر، ويقصد بذلك الدول الثلاث : العراق وإيران وكوريا الشمالية.[2]

حيث عَرَفَتْ هجمات الحادي عشر من سبتمبر مرحلة انتهاء الصراع الإيديولوجي ونهاية الحرب الباردة، واحدث الهجوم تغيرات بنيوية وهيكلية في النظام الدولي، بدءا من الصدمة العميقة التي أحست بها الولايات المتحدة الأمريكية بما أن الهجوم مس عمقها الاستراتيجي "الأمني والاقتصادي" والتي تعتبر سابقة في تاريخها لطالما كانت في منأى عن الاعتداءات الخارجية بحكم جغرافيتها البعيدة ، حتى أن هجوم اليابانيون على قاعدة بيرل هاربر مست ابعد أراضيها " ولاية هاواي"، كما أحدثت –احداث الحادي عشر من سبتمبر – تغييرا كبيرا على مستوى المفاهيم، مثل مفاهيم الأمن، والإرهاب، وفي تصنيف الأعداء والحلفاء، وشرعنه الحرب دينيا، كما تبدلت استراتيجيات المواجهة في السياسة الدولية، لتضفي بذلك جدلا كبيرا حول الثقافة، والقيم والأفكار، والعقائد، والصور النمطية والذهنية عن الآخر المختلف، و تأثيرها على الواقع الدولي.[3]

---

[1] نادية محمود مصطفى، "جدالات حوار / صراع الحضارات إشكالية العلاقة بين السياسي – الثقافي في خطابات عربية وإسلامية"، مركز الحضارة للدراسات السياسية (2006):8.

[2] عبد القادر المخادمي ، النظام الدولي الجديد الثابت والمتغير،240.

[3] بشير الشريف أحمد مكين، "البعد الديني في العلاقات الدولية"(رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم ، 2010)،113.

ومن بين الإستراتجيات التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية لمحاربة الإرهاب هي التي قدمها الرئيس الأمريكي بوش(الابن)، في الأول من جوان 2002 أمام أكاديمية poin west العسكرية، والتي أخذت تسمية :"**إستراتجية الأمن القومي** 2002" والتي تقوم على ثلاث مبادئ :

- **المبدأ الأول: مبدأ بوش**

✓ الحرب ضد الإرهاب وضد الدول التي تدعم النشاط الإرهابي فقد أعلن بوش ذلك بوضوح في خطاب أمام الكونغرس في العشرون من سبتمبر 2001، وخير فيه دول العالم بين أن تكون مع الولايات المتحدة الأمريكية أو تكون مع الإرهابيين؛

✓ نشر قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان، الحقوق السياسية والحريات الدينية؛

✓ المزاوجة بين العمل الفردي والعمل الجماعي على أساس هناك حاجة إلى العمل مع الحلفاء لكسب الأفكار وكذلك حرب الإرهاب.[1]

- **المبدأ الثاني : مبدأ الحرب الوقائية**

أكد الرئيس بوش على انه يجب على الولايات المتحدة الأمريكية إلا تقبل بان يتمكن أعدائها الجدد أن يوجهوا إليها أو إلى حلفائها ضربة مشابهة مثل التي حصلت في 11 سبتمبر 2001، وان الاستراتيجية الأمريكية ستمنع وقوع مثل هاته المخاطر من خلال إطلاق ضربات وقائية بدل النظريات التقليدية التي سادت في الحرب الباردة ، وحلت محل مفاهيم : نظريات الردع، والاحتواء.[2]

[1] عصام عبد الشافي، *الإمبراطورية الأمريكية* (تركيا، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتجية،2016)، 134-135.

[2] نفس المرجع،136.

- **المبدأ الثالث : مبدأ التدخلية الإجبارية**

يحتم هذا المبدأ على الولايات المتحدة الامريكية التدخل في مختلف القضايا العالمية وذلك انطلاقا من احتمالات تأثير هذه القضايا على المسيرة العالمية للولايات المتحدة الأمريكية [1]، فقد:

> "حرصت أمريكا على اعتبار " الإرهاب الدولي "هو عدوها ، وأيا كان الفاعل الحقيقي للهجمات على النيويورك وواشنطن، فستظل هذه اللحظة التاريخية الراهنة مفترق الطرق خطيرا، تعبر معه الأمة بوابة القرن الواحد والعشرين، وقد كشفت التحديات الحضارية الثقافية عن وجهها الحقيقي ".[2]

تشير الباحثة نادية محمود مصطفى بان أحداث 11 سبتمبر 2001 بينت أزمة عالمية ذات أبعاد حضارية وثقافية، وهي أزمة بشقين، شق يخص الهجوم على الولايات المتحدة الأمريكية، وشق آخر يعبر عن الحرب على الإرهاب الدولي، حيث يعد الاعتداء على الولايات المتحدة الأمريكية اخطر حدث وقع بعد نهاية الحرب الباردة، كما يميز طبيعة الاعتداء على أنه نمط جديد من أعمال العنف المسلح ذو دلالة حضارية، إن الهجوم على البرجين لم يكن أمرا اعتباطيا، فقد كان ذا دلالة رمزية لأنهما من رموز قوة الولايات المتحدة الأمريكية (القوة المالية، والقوة العسكرية)، كما يعتبران من مقومات الحضارة الغربية، لهذا صنفت على أنها كارثة قومية أمريكية، أما من ناحية الهجمات فكانت من فواعل غير دولية–الجماعات الإرهابية– ما خلف ارتياب الولايات المتحدة الأمريكية في التعامل معه وقامت بتصنيفه على انه عدو جديد وغير محدد الهوية.[3]

---

[1] نفس المرجع،137.

[2] نادية محمود مصطفى، "التحديات السياسية الحضارية الخارجية للعالم الاسلامي" ، ثقافتنا للدراسة والبحوث 22(2010):79.

[3] نفس المرجع،77–78.

أحداث سبتمبر قسمت العالم إلى نصفين، ولم تجعل منطقة وسطى أو رمادية فأما ضد الإرهاب أو انك تؤيده، اختزلت في مقولة بوش "إذا لم تكن معنا فأنت ضدنا" واستخدم –بوش– مفردات تتجاوز الإطار السياسي، وتؤكد الانقسام الذي لا يقبل المساومة ولا يمنح الخيار، فإما إن تكون مع الحضارة والخير(الأنا)، أو مع البربرية والشر (الآخر) مع التحذير بخطورة الاختيار السيئ.[1]

إن الحرب على الإرهاب مجالها الجغرافي غير محدد فهي (حرب فيما وراء الجغرافيا) وكذا مداها ألزماني، فهي حرب مفتوحة، لا احد يعرف بدايتها ولا نهايتها إلا من يقررون ذلك، لأنها ليست ذات بعد واحد، "البعد العسكري"، وإنما تتجاوزه لتشمل الأبعاد الثقافية والدينية.[2]

بالرغم من تنوع زوايا النظر واختلاف التحليلات التي حاولت مقاربة الحدث وتفسيره ، والإحاطة بدلالاته، إلا أن الملمح الثقافي والديني الحضاري كان أكثر مقاربة تفسيرية للحدث ومعرفة دوافعه والسياق الذي تكونت فيه، فتم استدعاء البرادايم الصراعي الحضاري(هينتينغتون) والاستناد إليه كمفسر للأحداث.[3]

بالمقابل أثبتت هاته الأحداث عدم صحة نظرية نهاية التاريخ (فوكوياما) التي تؤكد بحتمية عولمة المنظومة الفكرية الغربية المنتصرة وبالتالي انتهاء الصراعات الإيديولوجية والعقائدية، وأن العالم سوف يتجه نحو تحقيق الرفاه الاقتصادي الذي يؤدي تدريجيا إلى القضاء على مركزية الدولة في العلاقات الدولية.[4]

---

[1] محي الدين محمد قاسم، "الدولة المارقة :الرؤية الامريكية لعالم بعد احداث سبتمبر"، مركز الحضارة للدراسات السياسية، 502.

[2] مدحت أيوب، *الأمن القومي العربي في عالم متغير*(مصر : مكتبة مدبولي،2003)،114.

[3] نفس المرجع.

[4] حسين بوقارة،" انعكاسات أحداث سبتمبر على العلاقات الدولية"، اطلع عليه بتاريخ 01 جوان 2017،
https://www.google.dz/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=1&cad=rja&uact=8&ved=0ahUKEwi206nBksPUAhWJ7RQKHdFIDCMQFgggMAA&url=http%3A%2F%2Fboulemkahel.yolasite.com%2Fresources%2F%25D8%25A7%25D9%2586%25D8%25B9%25D9%2583%25D8%25A7%25D8%25B3%25D8%25A7%25D8%25AA%2520%25D8%25A3%25D8%25AD%25D8%25AF%25D8%25A7%25D8%25AB%2520%25D8%25B3%25D8%25A8%25D8%25AA%25D9%2585%25D8%25A8%25D8%25B1%2520%25D8%25B9%25D9%2584%25D9%2589%2520%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25B9%25D9%2584%25D8%25A7%25D9%2582%25D8%25A7%25D8%25AA%2520%25D8%25A7%25D9%2584%25D8%25AF%25D9%2588%25D9%2584%25D9%258A%25D8%25A9.doc&usg=AFQjCNGZ2osLNerbj7HPPPCOfP9QuyerLg

المبحث الثاني : ألمانيا ورفضها لحرب العراق

تعد ألمانيا من اهم الدول حضورا في العالم، سواء كرقعة جغرافية شاهدة على العديد من الحروب، اين كانت مسرحا لحروب الثلاثين عام، التي أسست لنظام الدولة –الوستفالية–، او كونها فاعلا في الحربين العالميتين الاولى والثانية، وبالرغم من هزيمتها وتراجع دورها، لا تزال محور اهتمام الباحثين لما تتميز به من مواقف.

المطلب الاول : الهوية الألمانية الجديدة

ما يميز المانيا عن غيرها من الدول، انها استطاعت ان تغير من هويتها القومية –النازية–وتكتسب أخرى: ديمقراطية مدافعة عن السلام، فقد كانت–المانيا– قوة مسيطرة في أوروبا، ونتيجة لاختلال توازن القوى لصالحها مرتين: الأولى في بداية القرن العشرين، والثانية في الربع الثاني منه، نشأت حربين عالميتين، وكانت النتيجة ليس فقط تدمير ألمانيا وهزيمتها، وإنما أيضا احتلالها وتحميلها المسؤولية الكاملة عن الحرب "ذنب الحرب" ما دفع النخب الألمانية بضرورة تبني سياسة خارجية حكيمة لا تقوم على استخدام القوة أو العنف، أو الرغبة في الهيمنة العالمية وبسبب هذا تشكلت رؤية جديدة في ألمانيا على المستويين الرسمي والشعبي تقوم على تبني سياسة سلمية بحته، مع التركيز على الاقتصاد والتجارة.[1]

وفعلا بدأت تتشكل تقاليد للسياسة الخارجية الجديدة الألمانية مختلفة تماما عن تلك التي سادت لعقود منذ تأسيس الرايخ* الأول وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية، وقد عملت جاهدة أول حكومة ألمانية بعد الاحتلال عام 1949 بقيادة "ادناور" Adenauer

---

[1] محمد ابو غزالة ، "مقارنة بين السياسة الخارجية الألمانية والأمريكية: تباين في المحددات والأهداف"، اطلع عليه 20 ماي2017، http://bohothe.blogspot.com/2010/05/blog-post_5645.html

* الرايخ (اللغة الألمانية) وهو الاسم الرسمي لألمانيا في الفترة الممتدة من 1871 إلى1945 ، وهي الترجمة "للإمبراطورية الألمانية".

على تكريس هذا التوجه، واستمرت الحكومات المتعاقبة الاشتراكية منها والمسيحية في تبني سياسة خارجية هادئة تقوم على مبادئ من أهمها، العمل المتعدد الأطراف واحترام الشرعية الدولية وعدم الانخراط في أي نزاعات مسلحة.[1]

بداية كانت –السياسة الالمانية– تهدف بالأساس الى كسب ثقة المحيط الاوروبي والعالمي، ثم وطدت بعدها كل اشكال علاقاتها وانتماءها الى المؤسسات الاوروبية والعالمية، سواء تعلق الأمر بالاتحاد الاوروبي او بالناتو، بغية تحقيق وحدتها –الألمانيتين– وذلك عبر تحديد اولوياتها في السياسة الخارجية وأهمها:

- ✓ الاندماج الاوروبي؛
- ✓ نصرة مؤسسات حقوق الانسان في العالم؛
- ✓ دعم التوجهات الخارجية لتقوية الاقتصاد الالماني.[2]

إن السياسية الخارجية الألمانية تقوم منذ تحرير ألمانيا من –النازية–، على العمل في أطر جماعية وفق مرتكزات ثابتة يتمثل جوهرها في التعاون مع الأمم المتحدة، التي أصبحت ألمانيا عضوا فيها منذ عام 1973، كما ان هاته– العضوية– في الأمم المتحدة اصبحت بمثابة:

> "ركناً أساسياً في السياسة الألمانية في مجالات السلام والأمن وحقوق الإنسان، فالأمم المتحدة هي المنبر الذي تناقش فيه حلول للمشاكل العالمية التي تواجهها البشرية، بداية من إقرار السلام وقضايا الاقتصاد العالمي والتنمية وانتهاء بقضايا البيئة والسكان".[3]

---

[1] نفس المرجع.

[2] عبد الجليل أميم و آخرون، *التجربة النهضاوية الألمانية كيف تغلبت المانيا على معوقات النهضة*(مركز نماء للبحوث والدراسات : لبنان، 2014)،33.

[3] لؤي المدهون، تحولات السياسة الخارجية الالمانية من التبعية الى الاخذ بعين الاعتبار، اطلع عليه بتاريخ 25 ماي 2017، http://www.dw.com/ar/%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D8%B0-%D8%A8%D9%8A%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D8%B1%D8%A9/a-1675783

وتحملت ألمانيا بناءا على ذلك، نسبة تقدر بعشرة بالمائة من الميزانية المقررة للأمم المتحدة، والتي بلغت حوالي 1.6 مليار دولار أمريكي عام 2003، وهي بذلك تمثل ثالث أكبر دولة مساهمة في تمويل هيئة الأمم المتحدة، وعلاوة على ذلك فإن قواعد السياسة الخارجية الألمانية قائمة على الاعتراف بمسؤولية ألمانيا الأخلاقية تجاه جرائم النازية كجزء لا يتجزأ من هوية ألمانيا الديمقراطية.[1]

فتوجهات ألمانيا الجديدة ترتكز على الجانب المعياري في العلاقات الدولية، أي الالتزام بالمعايير والقيم المشتركة التي تعارفت عليها الأمم، كما تسعى لتطبيق القانون الدولي، واحترام حقوق الإنسان على المستوى العالمي.

لذا تطلبت– التقاليد السياسة– الجديدة في ألمانيا بعد الحرب:

> "ظهور قيادات سياسية تتمتع بصفات وقدرات معينة تمكنها من خدمة المصالح الألمانية بعيدا عن الانخراط في صراعات إقليمية أو دولية فالصفات والقدرات الشخصية للسياسي أو صانع القرار تلعب دور أساسيا في عملية تنظيم وتوجيه السياسة الخارجية."[2]

ونتيجة لهذا الاشتراك في– الفهم– ساد وعي جمعي في ألمانيا بان من يتولى السلطة السياسة والمواقع الرفيعة يجب أن تتوفر فيه قدرات معينة تمكنه من تبني سياسات معيارية سلمية أكثر أخلاقية، بعيدة عن الرغبة في الهيمنة الإقليمية أو العالمية مستحضرين بذلك السياق التاريخي الذي مر عليهم ومتأثرين بالمحيط الاجتماعي الذي يتفاعلون معه، ان للظروف الاجتماعية والسياق التاريخي دور هام في تطوير مفاهيم الفرد عن العالم، وفهمه وتفسيره للواقع الدولي الذي يعيشه.[3]

---

[1] نفس المرجع.

[2] محمد ابو غزالة ، "مقارنة بين السياسة الخارجية الألمانية والأمريكية.

[3] نفس المرجع.

بجانب هويتها الديمقراطية الجديدة والتزامها بإملاءات الدستور الألماني تنشط ألمانيا من أجل دعم السلام، والحفاظ على حقوق الإنسان، ومكافحة الإرهاب على الصعيد العالمي حيث تؤيد إرساء نظام أمني عالمي يعمل تحت سلطة الأمم المتحدة والشرعية الدولية.[1]

"وهي الطريقة التي عَرَّفَتْ ألمانيا عن نفسها بأنها قوة لحفظ السلام"[2]

وبالرجوع الى ما يسمى GG أي القانون الاساسي او الدستور Grundgesetz للدولة الالمانية، وبالضبط في الفصل الثالث والعشرون، ينص الدستور على ضرورة التزام المانيا بالعمل على تحقيق الوحدة الاوروبية المتكاملة بإعلاء القانون والعمل على احترام تام للمؤسسات الوطنية المختلفة .[3]

كما تلتزم –المانيا– في فصلها الخامس والعشرون من دستورها بالتصدي الى كل المحاولات الهادفة الى :

التأثير على السلم العالمي وجر الشعوب الى الحروب، والعمل على هدم العيش المشترك بينهما وفي هذا السياق يدخل حظر المانيا لبيع بعض انواع الاسلحة، بل يعتبر ذلك مخالفا لمبادئ السياسة الخارجية الألمانية.[4]

ترتكز السياسة الخارجية الألمانية على ثوابت نابعة من خصوصية التاريخ الألماني تتمثل في المساعدة في إرساء عالم آمن متعدد الأقطاب تحت إطار الأمم المتحدة، حيث يوجد تباينا واضحا بين المفهوم الألماني والأمريكي للعمل الجماعي

---

[1] لؤي المدهون ، تحولات السياسة الخارجية الالمانية من التبعية الى الاخذ بعين الاعتبار.

[2] هانز كوندناني، *المعايير الألمانية الجديدة للسياسة الخارجية الألمانية* ، تر. مركز البيات للدراسات والتخطيط (بغداد، مركز البيان للدراسات والتخطيط، 2017)،12.

[3] عبد الجليل أميم، التجربة النهضاوية الالمانية،31.

[4] نفس المرجع.

فألمانيا تؤكد دائما على دور الأمم المتحدة، وتحاول من خلالها العمل على التأثير في السياسة الخارجية للدول الأخرى، وبرز ذلك جليا مع احداث الحادي عشر من سبتمبر حيث اختلفت المواقف بشأن العديد من المسائل الدولية وطريقة التعامل معها، وقد انعكس ذلك على السياسة الخارجية، فهي مختلفة في التصورات والأهداف والوسائل.[1]

إن ألمانيا اكتسبت هوية جديدة في النظام الدولي بعد الحرب العالمية الثانية تعرف بها نفسها، ومن خلالها تعرفها باقي الوحدات، تقوم –هويتها–على المبادئ الديمقراطية ولا تتحرك (احلاف) إلا في ظل القرارات الأممية التي تحمل صِبْغَة الشرعية .

فالهوية الالمانية الجديدة استمدت مفاهيمها ومدركاتها من قيمها السائدة والمعتقدات والمبادئ، والخبرات التاريخية التي مازالت محفورة في الذاكرة، والتي كانت مسببا في تشكيلها على هذا النحو، وقد ترجمت –الهوية الجديدة– كتابيا في دستورها وعمليا في سلوكها الدولي .

[1] محمد ابو غزالة ، "مقارنة بين السياسة الخارجية الألمانية والأمريكية.

المطلب الثاني : الرفض الالماني لحرب العراق

إن السلوك الألماني المعارض لحرب العراق أثار اشكالية طرحها النظام الدولي الجديد بعد أحداث 11 سبتمبر حول موضوع الارهاب، أين جعل خطاب بوش العالم ينقسم بين فئتين لا ثالث لهما، اما محاربته – الارهاب– او تأييده، ومن ثمة كان التساؤل حول موقف المانيا من –الارهاب–خاصة بعد رفضها مشاركة حليفها الاستراتيجي الولايات المتحدة الامريكية حرب العراق، لذا نسعى من خلال دراستنا البحث في اسباب ذلك، من خلال فحص فرضية اكتساب المانيا لهوية جديدة كمبرر لإمتاعها مشاركة الفعل الجماعي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

- **الموقف الالماني من الحرب على الإرهاب :**

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، تعهد المستشار الألماني "جيرهارد شرودر" Gerhard Schröder بما أطلق عليه "التضامن غير المشروط" مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى إثرها قامت –ألمانيا– بإرسال قوات عسكرية لتشارك في حملة الناتو في أفغانستان، لكنها منذ تلك التجربة أصرت ألمانيا على معارضتها الشديدة إزاء استخدام القوة العسكرية ورفعت شعار "لا للحرب مرة أخرى"، إن الساسة الألمان ومن خلال الهوية الجديدة يعرفون بلادهم على أنها " قوة مجندة من أجل السلام".[1]

ان موقف ألمانيا من حرب افغانستان يفرض على الباحث مراجعة طبيعة تساؤلاته مُسْلِمًا بموقف ألمانيا من الإرهاب، ليبحث في سبب رفضها حرب العراق، وما الفرق بين الحربين ؟ وقبل التطرق إلى ذلك، يجب أولا معرفة الأسباب التي وظفتها الولايات المتحدة الامريكية، التي من خلالها أعلنت الحرب على العراق :

[1] هانز كوندناني،"المانيا تودع الغرب وعينها على الشرق"،اطلع عليه بتاريخ 08جوان 2017، http://www.albayan.co.uk/rsc/print.aspx?id=3360

- **أسباب الحرب الأمريكية على العراق :**

بدأ الغزو الامريكي على العراق في العشرين من مارس 2003، أين قدمت الولايات المتحدة الامريكية عدة اسباب لحربها المعلنة على العراق، كونها مترابطة ومتداخلة – بعضها ببعض–، حيث يمكن تلخيصها في ما يلي:

- ✓ ادعاء امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل، وسعيه لتطوير اسلحة بيولوجية وقدراته النووية؛
- ✓ اتهام العراق بدعم المنظمات الارهابية وخاصة القاعدة واحتمال تزويدهم بأسلحة دمار شامل، يمكنها ان تهدد الامن العالمي؛
- ✓ تهديد العراق لجيرانه (الكويت، ايران، سوريا، تركيا).[1]

هاته الأسباب مجتمعة لم تكن كافية لتدفع بألمانيا مشاركة تحالف الراغبين او الارادات (Coalition Of Thewilling)، ما جعلت من المانيا اختيار نهج آخر عبر عنه المستشار شرودر "بالطريقة الألمانية" في مقابل "الطريقة الأمريكية".[2]

- **مبررات رفض ألمانيا المشاركة في حرب العراق :**

✓ **أولا : قرار الحرب بوصفه انتهاك للشرعية الدولية**

في سابقة خطيرة، أعلن الرئيس الامريكي بوش في السادس من مارس2003 صراحة ان بلاده ليست بحاجة لموافقة مجلس الامن على شن الحرب على العراق، وأشار بان الولايات المتحدة ليست قلقة من دخول الحرب دون موافقة الامم المتحدة.[3]

فالعمليات العسكرية التي نفذتها قوات الولايات المتحدة الامريكية وقوات التحالف تعتبر عدوانا من منظور القانون الدولي، لما تتوفر من كافة شروط العدوان الواردة

---

[1] محمد احمد حمد، الغزو الامريكي البريطاني على العراق عام 2003 بحث في الاسباب والنتائج"،مجلة جامعة دمشق 3+4(2004):124.

[2] هانز كوندناني، المانيا تودع الغرب وعينها على الشرق

[3] عبد الناصر محمود سرور،" دوافع وتداعيات القرار الاستراتيجي الامريكي باحتلال العراق عسكريا في 2003"،مجلة جامعة الأقصى 01(2010):74.

بتعريف الجمعية العامة للأمم المتحدة لأنه كان خروج عن قواعد الشرعية الدولية، ومبادئ حقوق الانسان التي اقرتها العهود والمواثيق والاتفاقات الدولية وخصوصا اتفاقات جنيف الاربع لعام 1949.[1]

حتى أن القرار رقم 1483 الذي صدر عن مجلس الامن الدولي في 22 من ماي 2003 وصف الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا بانهما دولتا احتلال وان وجودهما العسكري والمدني في العراق يمثل سلطة احتلال.[2]

اعلان الرئيس الفرنسي شيراك والمستشار الالماني شرودر خلال القمة التي اعقدت في سبتمبر2002 بانه يجب على العراق تنفيذ قرارات مجلس الامن مع السماح بعودة المفتشين وعدم عرقلة عملهم، واكدا أن اي عمل ضد العراق يجب ان يكون بتفويض من مجلس الأمن.[3]

✓ **ثانيا: رفض التدخل العسكري :**

ان قناعة المانيا بعدم جدوى التدخل العسكري ، جعلها ترفض كل اشكال التدخل في العراق، حيث رفضت –المانيا– الاشتراك في أي عمل عسكري ضده، واعتبرت ان نتائجه قد تشكل تهديد للأمن والاستقرار في المنطقة، ورأت بان الادعاءات التي تروج لها الولايات المتحدة الامريكية لضرب العراق غير كافية لإجراء عمل عسكري، كما سعت المانيا للعمل وفق ما تمليه الديبلوماسية واستنفاذ كل أشكالها، بل ان شرويدر كان أجرأ القادة الأوروبيين، حينما صرح بانه لن يذهب للحرب على العراق ولو بتفويض من الامم المتحدة– لاقتناعه بعدم شرعية الحرب–، وقاد تحالفا دوليا لرفض الحرب على العراق

---

[1] عماد هادي علو الربيعي، *العراق والتحالف الغربي1991–2001*(الاردن: دار زهران للنشر والتوزيع، 2014)،36.

[2] نفس المرجع،35.

[3] حمدوش رياض ، تأثير السياسة الخارجية الامريكية على عملية صنع القرار في الاتحاد الاوروبي ،379.

اما بعد الحرب فقد دعت المانيا قوات الاحتلال تسليم السلطة للعراقيين، ودعوة الأمم المتحدة لأن تكون هي المرجعية في العراق.[1]

✓ **ثالثا :غياب الادلة الكافية ، وتكييف الولايات المتحدة الامريكية للحرب :**

تبنى شرودر موقف ثابت ومستقل عن السياسة الامريكية، ومنذ البداية حرصت المانيا على رفض الربط الامريكي بين نظام صدام حسين والقاعدة كمبرر لإسقاط النظام العراقي ، فألمانيا ترى بانتفاء دليل حقيقي يثبت تورط نظام العراقي مع القاعدة أو امتلاكه اسلحة الدمار الشامل.[2]

أما فيما يخص الاسلحة النووية فتم التأكد بعدم حيازة العراق لها، وبرز ذلك مع اعلان مفتش الاسلحة السابق التابع للأمم المتحدة "سكوت ريتر"Scott Ritter امام الكونغرس الامريكي بان العراق اصبح منزوع السلاح كليا، ولا يهدد الولايات المتحدة الامريكية او دول الشرق الاوسط، وقال بأن إدارة بوش لا تريد اعادة تفتيش العراق وانما تريد الحرب.[3]

لذا تساءل وزير الخارجية الالماني السابق "جوشكا فيشر" متهكما، حول التهديدات قائلا :

"أين هو التهديد الذي يحدثوننا عنه ؟"[4]

✓ **رابعا : رفض–المانيا–العمل في اطار الانفرادية:**

أعلنت المانيا عن اهمية اتخاذ القرارات الدولية بشكل تعددي، بعيدا عن الانفرادية التي اتبعتها إدارة بوش الابن وان الحرب على العراق سوف تأتي بنتائج مدمرة وعدم

---

[1] وجيدة سمير عيسى، *العلاقات الألمانية الإسرائيلية وقضايا الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط*(مصر، المكتب العربي للمعارف،2014)،80.

[2] نفس المرجع.

[3] محمد احمد،" الغزو الامريكي –البريطاني للعراق عام بحث في الاسباب والنتائج 2003"، مجلة جامعة دمشق 3+4(2004):125.

[4] مدوش رياض ، تأثير السياسة الخارجية الامريكية على عملية صنع القرار في الاتحاد الاوروبي، 378.

استقرار في المنطقة اكثر منها نتائج ايجابية، فألمانيا لم تتباطأ في الانضمام لتحالف 1991 بعد الغزو العراقي للكويت، على الرغم من تضرر مصالحها الاقتصادية وعقود شركات البترول الالمانية في العراق بفعل هذا القرار، لكن كان من الواضح للجميع ان العراق انتهك القانون الدولي.[1]

كما حثت –المانيا–على الفعل التشاركي الاقليمي حيث اقترح وزير الخارجية الالماني "فرانك شتاينماير" دمج الاطراف الاقليمية في الساحة العراقية في أي تسوية ودعا الى تفعيل توصيات لجنة بيكر – هاملتون المتعلقة بإشراك كل من سوريا وايران في حل القضية العراقية، أما بالنسبة الدعم الالماني للعراق في الجانب العسكري والامني فقد اتفق جل السياسيين الألمان على استحالة ارسال قوات عسكرية المانية.[2]

✓ **خامسا: الرفض الشعبي –غير الرسمي– للحرب:**

اما على المستوى الشعبي فكانت تشهد المانيا بشكل يومي مظاهرات معارضة للحرب والتي اعتبرت من اضخم المظاهرات المناوئة للحرب على المستوى العالمي خاصة المظاهرة التي كانت في منتصف فيفري 2003 والتي تعد اكبر مظاهرة تشهدها ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية.[3]

إن السياق التاريخي لألمانيا رسخ قناعات لدى الشعب الالماني حول استخدام القوة العسكرية وتداعياتها، فعند كل حدث مشابه يستحضرها، لذا شبهت وزيرة العدل الالمانية اساليب الرئيس بوش بأساليب "ادولف هتلر"، كما شبه رئيس الحزب الاشتراكي

---

[1] وجيدة سمير عيسى، العلاقات الألمانية الإسرائيلية،80.

[2] ستار جبار الجابري،" موقف دول الاتحاد الاوروبي تجاه الاستراتيجية الامريكية في العراق"، دراسات دولية 46:36.

[3] أسعد فلاح ابراهيم اللصاصمة، *الديبلوماسية العربية تجاه الازمة العراقية2001–2007*(الأردن: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع،2010)،135.

الحاكم في احدى الصحف الالمانية الرئيس بوش –الابن– بالقيصر "اغسطس" الذي كان ينظر الى المانيا انها مقاطعة رومانية.[1]

ونتيجة لهذا –الرفض الجماعي– من الالمان، حفز المستشار الألماني شرودر ان يجعلها ورقته لكسب الانتخابات فرفع شعار"معارضة الحرب" وبالفعل كسب الرهان، وفاز بالانتخابات، ووفى بوعده، ولم يشارك في الحرب.[2]

بل رسم ملامح السلوك الالماني مستقبلا حول التدخل العسكري، فصرح قائلا:

"في المستقبل ايضا سيكون علينا اتخاذ قرارات لن تكون سهلة في موضوع التدخل العسكري، وتبرير العملية اخلاقيا وسياسيا واجب في كل مرة لذا عارضنا في الماضي بعض العمليات العسكرية بخاصة، وثمة بعض الحالات التي يكون فيها عدم المشاركة تعبيرا عن تصور رفيع للمسؤولية السياسية".[3]

وهذ ما استمرت –فعلا–عليها السياسة الخارجية الألمانية، باتباعها نفس النهج، أين تقوم فلسفتها السياسية على رفض التدخل العسكري، واتضح ذلك جليا سنة 2011 عندما امتنعت ألمانيا عن التصويت في مجلس الأمن للأمم المتحدة حيال التدخل العسكري في ليبيا، أين وقفت بذلك الى جانب كل من الصين وروسيا في مقابل فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية.[4]

---

[1] مي قناوي علي ، *الاسباب الاستراتيجية لغزو العراق دراسة تحليلية في السياسة الخارجية الامريكية*(مصر : المكتب العربي للمعارف،2014)،131.

[2] نفس المرجع.

[3] "لا تتكلوا علينا في حرب غير قانونية شرودر ينتقد الحرب الأميركية على العراق،" المستقبل 1550 (2004):13، http://www.almustaqbal.com/issues/AsisPDF/2004/20-03-04/page13.pdf

[4] هانز كوندناني، المانيا تودع الغرب وعينها على الشرق.

هاته القناعة الالمانية وجدت تبريرها في خصوصية المجتمع الألماني الذي مر بحقبة زمنية صعبة أثرت في وعيه، وأدركها صناع القرار، وتبين ذلك عندما اجرت صحيفة "بيلد أم زونتاغ" حوار مع الرئيس الأمريكي جورج بوش يوم السابع من ماي 2006 وسئل حول انطباعه لرفض المانيا لحرب العراق سنة 2003 [1] ، فأجاب قائلا بأنه أصبح :

"يـدرك جيـدا ان رفـض الالمـان لفكـرة الحـرب هـي مسـألة مبدئيـة مترسخة في عقليتهم ولها ما يبررها تاريخيا ".[2]

بالرغم من كون ألمانيا تعتبر حليفا استراتيجيا للولايات المتحدة الامريكية ، إلا ان هويتها الجديدة التي اكتسبتها بعد الحرب العالمية الثانية جعلت منها ترفض مشاركة الحرب على العراق كونها تفتقد للشرعية، وبمبادرة فردانية غير متعددة الأطراف، فألمانيا تعرف نفسها دوما على انها دولة مجندة للسلام، هاته –الهوية الجديدة– ساعد على تشكلها السياق التاريخي الذي مرت عليه –المانيا– فتكونت عبره أفكار مشتركة يؤمن بها المجتمع الالماني تقوم على حب السلام،ولا فعل خارج إطار المؤسسات الدولية.

[1] بوش يصفح لألمانيا موقفها من الحرب على العراق ، اطلع عليه بتاريخ 08 جوان 2017،
http://www.dw.com/ar/%D8%A8%D9%88%D8%B4-%D9%8A%D8%B5%D9%81%D8%AD-%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7-%D9%85%D9%88%D9%82%D9%81%D9%87%D8%A7-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82/a-1995629

[2] نفس المرجع.

المبحث الثالث : تأييد بريطانيا لحرب العراق

منذ بداية القرن العشرين برزت على الساحة الدولية علاقة تحالف بين دولتين اطلسيتين أقل ما يقال عنها انها متميزة عن غيرها، فعلاقة بريطانيا بالولايات المتحدة الامريكية يُنْظَرُ اليها من زاوية مختلفة تماما عن علاقات هاته الأخيرة–الولايات المتحدة –بأوروبا وذلك لخصوصية بريطانيا وميراثها الحضاري.

المطلب الأول : الهوية البريطانية–الاطلسية

إن أول كلمة تتبادر الى الذهن حول علاقة بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية هي كلمة تحالف، واول فكرة تتجلى هي التعاون، أين تبلورت هاته العلاقة بشكل كبير خلال الحرب العالمية الثانية، حيث سبب التعاون بين الدولتين لم يكن محدده فقط تعاظم خطر قوى المحور، وانما عزز ذلك تلك الروابط المشتركة التي تجمع الدولتين من اعتبارات جغرافية، وسياسية، وثقافية، وهي روابط تفردت بها العلاقة بين الدولتين، ولم يوجد مثيل لها بين قوتين في التاريخ.[1](1)

فالدولتين جغرافيا تقعان على جانبي محيط واحد وهو المحيط الأطلنطي ويشتركان في نفس الأصل العرقي، ولهما لغة واحدة، وميراث حضاري وتاريخي متشابه كما تربطهما روابط قرابة تعود في قِدَمهَا إلى السنوات التي كان فيها الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية مستعمرات بريطانية.(2)

---

[1] نعمه حسن محمد السيد، "العلاقات البريطانية– الأمريكية 1945–1953 دراسة في العلاقات السياسية"، اطلع عليه بتاريخ 27 جوان2017،

http://www.alnodom.com/index.php/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9%D9%8A%D8%A9/90_26quot%3B%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%80%D9%80%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%86%D9%8A%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A%D9%87-1945-1953-%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%87-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%87%26quot%3B.html

[2] نفس المرجع.

إن السياسة البريطانية تقوم على مبدأ "العلاقات الخاصة والمميزة" مع الولايات المتحدة الأمريكية، هذا المبدأ الذي أعلنه "ونستون تشرشل"Winston Churchill عقب الحرب العالمية الثانية ومن ثمة أصبح نهجاً ثابتاً تبنته جميع الحكومات البريطانية باختلاف توجهاتها، سواء كانت عمالية او محافظة .[1]

هذا التوجه البريطاني– الأطلسي جعل من قادة الدول الاوروبية تعيد النظر في علاقاتها مع بريطانيا وتنظر لها بعين الريبة، وهدا ما تبدى واضحا في رفض الرئيس الفرسي "شارل ديغول" Charles de Gaulle قبول عضوية بريطانيا في السوق الاوروبية المشتركة عام 1963 بحجة ان بريطانيا تابعة للولايات المتحدة الامريكية، ودخولها يجعل من السوق ككل تحت التبعية والقيادة الامريكية وهو ما يتنافى ورؤيته لأوروبا كنظام قاري مستقل [2]، وكان يرى بأنها –بريطانيا– يد الولايات المتحدة الامريكية في اوروبا :

"معتبـراً انهـا سـوف تقـوم فيـه بـدور حصـان طـروادة الأمريكـي داخـل المجموعة الاوروبية".[3]

هاته الرؤية اشار إليها الكاتب الفرنسي "بيير بيارنيه" Pierre Biarnés في كتابه: "القرن الحادي والعشرين لن يكون قرنا امريكيا"، الى ان بريطانيا لم تتوقف منذ الحرب العالم الثانية عن الاعتقاد بان التحالف مع الولايات المتحدة الامريكية هو "التحالف الكبير" والذي يجب ان يكون اساس سياستها الخارجية.[4]

---

[1] بير بيارنيس، *القرن الحادي والعشرين لن يكون امريكيا* ، تر. مدني قصري(لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2003)،23.

[2] جهاد عودة، *العلاقات الامريكية الاوروبية بعد 11سبتمبر 2001*(مصر: المكتب العربي للمعارف،2015)،58.

[3] محمد دياب، "بريطانيا الحائرة بين أوروبا وأمريكا: هل هي حائرة فعلاً؟!، اطلع عليه بتاريخ 01جوان2017، http://www.alriyadh.com/22706

[4] ناظم عبد الواحد الجاسور، *تأثير الخلافات الامريكية–الاوروبية على قضايا الامة العربية حقبة ما بعد الحرب الباردة* (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية،2007)،94.

ان سياسة بريطانيا الخارجية متمسكة بمبادئ اساسية تحكم ديبلوماسيتها ومواقفها الدولية والاقليمية وهي:

- ✓ ان التحالف البريطاني– الامريكي اساس دعامة الامن الغربي الرأسمالي
- ✓ ان حلف شمال الاطلسي يعتبر الاطار الامني والعسكري للأمن الاوروبي
- ✓ ان الفيلق الاوروبي لا يمكن ان يكون بديلا عن امريكا وحلف الناتو.[1]

كما أن اتفاقيات Nassu التي عقدت سنة 1962 ربطت القوات النووية البريطانية بالولايات المتحدة الامريكية، على اعتبار ان هناك اسلحة نووية على اقليم المملكة المتحدة وفقا لسياسة منظمة حلف الشمال الأطلسي، اين تتمتع امريكا بالوصايا الكاملة على هذه الاسلحة.[2]

هذا التحالف برز بشكل جلي عقب احداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، اين نادى رئيس وزراء بريطانيا "توني بلير" Tony Blair قائلا :

"دعونا نعيد ترتيب هذا العالم من حولنا".[3]

لم تمر ساعات فقط من انهيار مركز التجارة العالمي، حتى سارع بلير بوصف المشهد "بالمأساوي"، مطلقا دعمه اللامتناهي للولايات المتحدة الامريكية، فتحدث قائلا نحن :

"هنا في المملكة المتحدة نقف كتفا لكتف مع اصدقائنا الامريكان في هذه الظروف المأساوية، ونحن مثلهم لن نرتاح حتى ينتهي هذا الشر من عالمنا ".[4]

---

[1] نفس المرجع،95.

[2] راضية ياسينة مزاني،" مسالة الدفاع الاوروبي بعد حرب كوسوفو"(اطروحة دكتورة، جامعة الجزائر 3،2011)،161.

[3] ديفيد كين ، حرب *بلا نهاية وظائف خفية للحرب على الارهاب* ، تر .معين الامام (السعودية: دار العبيكان، 2008)،301.

[4] جهاد عودة، العلاقات الامريكية الاوروبية بعد 11سبتمبر 2001،275.

وبعدما قررت الولايات المتحدة الامريكية الحرب على افغانستان او ما يعرف بالحرب الجديدة للولايات المتحدة الامريكية على الارهاب : جاء موقف بريطانيا واضحا ومؤيدا للحرب، لان الاعتداء على امريكا يعتبر تعديا على جميع الدول وتجلى ذلك من خلال :

- ✓ وصف بلير هجمات الحادي عشر من سبتمبر على انها ليست معركة بين الولايات المتحدة الامريكية، ولكن بين العالم الحر الديمقراطي والارهاب .
- ✓ حاول –بلير–ايجاد الصلة بين الهجمات وتهديدها للمصالح البريطانية بالإشارة الى وجود ضحايا بريطانيين .
- ✓ حشد التأييد الدولي للحرب على افغانستان من خلال جولات بلير في عدد من الدول خاصة الاوروبية منها، هذا الدور وصفه بلير نفسه بأنه جسر بين الولايات المتحدة الامريكية واوروبا.
- ✓ بل تعدت مؤازرة بريطانيا للولايات المتحدة الامريكية حدود التأييد السياسي الى المشاركة العسكرية.[1]

إن موقف بريطانيا الداعم للولايات المتحدة الامريكية ليس بالشيء الجديد، فقد وقفت الى جانبها اثناء الحرب الامريكية على ليبيا سنة 1986، حيث سمحت –بريطانيا– لقوات الطيران الامريكي بالمرور على أراضيها، وهذا دون التشاور مع أعضاء الاتحاد الاوروبي باعتبارهم شركاء، وهو أمر تتطلبه المادة 30–2 من القانون الاوروبي الموحد ما دفع باستنكار الدول الاوروبية لموقف بريطانيا المنفرد.[2]

[1] نفس المرجع،276.

[2] قريب بلال "السياسة الامنية للاتحاد الاوروبي من منظور اقطابه –التحديات والرهانات" (رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة،2011)،69.

في هذا السياق أشار توني بلير بان بريطانيا ستقف دائما في صف امريكا مستحضرا بذلك مقولة ونستون تشرشل و "مارغريت تاتشر"Margaret Thatcher, بأن هنالك مسؤولية على عاتق الشعوب الناطقة بالإنجليزية لتوفير كل الدعم من اجل بناء نظام عالمي آمن.[1]

هذا الارتباط او التبعية البريطانية للسياسة الامريكية تجلت واضحا في ازمة الخليج الثانية 1991، وحرب العراق 2003(سنتطرق اليها في المطلب الثاني)، بالرغم من المنافسة الشديدة بين شركات صناعة الاسلحة الامريكية والبريطانية، حيت مُنِحَتْالشركات البريطانية هامشا بسيطا مقارنة بحصص الشركات الامريكية.[2]

ان الانحياز البريطاني للولايات المتحدة الامريكية يعتبره كثير من المؤرخين وعلماء السياسة الدولية بانه انحياز طبيعي نظرا للارتباطات التاريخية بين بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، لما تجمع علاقتهما من روابط مشتركة من لغة وتبني نفس القيم المستمدة من حضارة واحدة .[3]

ما يعزز هذا التقارب في القيم المشتركة، انسحاب بريطانيا من الاتحاد الاوروبي بعد استفتاء 23 جوان 2016، معلنة بذلك هويتها غير الأوروبيانية ، ومعززة علاقتها عبر الأطلسية.

[1] ارون ستلزر، *المحافظون الجدد*، تر. فاضل جتكر (السعودية: مكتبة العبيكان، 2005)،51.

[2] نفس المرجع،95.

[3] قريب بلال، السياسة الامنية للاتحاد الاوروبي من منظور أقطابه ،68.

المطلب الثاني : مشاركة بريطانيا لحرب العراق

إن اتخاذ قرار الحرب على العراق عسكريا ومن دون قرار أممي أحدث شرخا في الاتحاد الأوروبي ، أين تباينت المواقف بشأن الحرب الأمريكية على العراق وانقسمت إلى فريقين متعارضين تماما، فالأول بقيادة فرنسية ألمانية يدعو الى ضرورة اتخاذ الوسائل الديبلوماسية والقانونية لمعالجة وحل الازمة، بالمقابل وجد فريق بقيادة بريطانيا وإنضمام اليها كل من اسبانيا وايطاليا والبرتغال مؤيدة التوجهات الأمريكية، بل واعلنوا مشاركتهم بقوات عسكرية فضلا عن تقديمهم المساعدات اللوجستية للقوات الحليفة.[1]

تبلورت مواقف هذا الفريق بقيادة بريطانيا من خلال إصدار لائحة من ثمان دول في 30 جانفي 2003 تحت عنوان :"على اوروبا والولايات المتحدة الامريكية أن تظلا متحدتين"، وسعت إلى تشكيل "جبهة موحدة لأوروبا وأمريكا في الأزمة العراقية"، وشملت هذه اللائحة إمضاء كل من بلير و"بيرلسكوني" Silvio Berlusconi ورؤساء كل من البرتغال والدانمارك ، وبولندا، والمجر.[2]

هذا التباعد حول العراق، ارتكزت تفسيراته إلى افتراض أن القيم والمعتقدات التاريخية والثقافية هي من تحدد سلوك الدول، ومن ثم سياساتها تجاه العالم الخارجي فالاختلاف الامريكي الاوروبي حول تفسير هذه القيم هو السبب، وخاصة فيما يتعلق بتفسيرها لقيمة التعددية في العلاقات الدولية.[3]

---

[1] ستار جبار الجابري، "موقف دول الاتحاد الاوروبي تجاه الاستراتيجية الامريكية،42.

[2] حسين طلال مقلد ، "محددات السياسة الخارجية والأمنية الأوروبية المشتركة"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانون 01(2009):639.

[3] محمد مطاوع، الغرب وقضايا الشرق الأوسط من حرب العراق إلى ثورات الربيع العربي : الوقائع والتفسيرات" المستقبل العربي:43،
http://www.causlb.org/PDF/EmagazineArticles/mustaqbal_426_mhmdmtaw3.pdf

على هذا الأساس نجد التقارب البريطاني الأمريكي في حرب العراق لِمَا يشتركان فيه من قيم–التدخل– وبرز ذلك مع قول توني بلير:

" لو أحجم بوش عن التدخل في العراق لدفعته في ذلك الاتجاه".[1]

ويبرر بلير موقف بريطانيا أنه نابع من قناعاتها ورؤيتها المشتركة مع الولايات المتحدة الامريكية لطبيعة النظام الدولي وكيفية التعامل مع قضاياه، وهذا ما يدفعها دوما أن تثق في قراراتها، وتبدى ذلك في تصريحه قبل الحرب في 06 سبتمبر 2002 قائلا :

" في نهاية المطاف ، بريطانيا دولة ذات سيادة تقرر سياستها بنفسها ، وبرغم انني أدعم الولايات المتحدة ، فلن افعل ذلك اذا كنت معتقدا انني أفعل أمرا خاطئا، إذا شعرت أن –الولايات المتحدة – تقوم بعمل عسكري خاطئ، فلن أدعمها ، ولكنني لم أشعر بذلك قط ، ولا أتوقع أن أشعر به في المستقبل ".[2]

هاته القناعة يشترك فيها صناع القرار ببريطانيا حيث تحدث "جاك سترو" Jack Straw، وزير الخارجية البريطاني قبل الحرب بسنة في 25 سبتمبر 2002 على أن :

"الهدف الذي نسعى له هو نزع سلاح نظام صدام حسين ، وقد تؤدي هذه العملية إلى تغيير النظام، ولكن هدفها الأساسي هو نزع السلاح ".[3]

---

[1] ديفيد كين، حرب بلا نهاية وظائف خفية للحرب على الإرهاب،44.

[2] فرانك هارفي، *تفسير حرب العراق نظرية افتراضية وتفسير منطقي مع الأدلة*، تر. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتجية،2014)،303.

[3] نفس المرجع، 293.

وهي نفس الإجابة لتوني بلير حينما سُئِلَ من طرف الصحفيين حول سبب التزامه الكبير بموضوع العراق وتركيزه على هذه الامور، فأجاب قائلا :

"هذا بسبب صدام حسين وأسلحة الدمار الشامل ، فقد سبق له امتلاكها واستخدامها، وجميع الأدلة تشير إلى انه يواصل تطويرها وانه يتحدى الامم المتحدة طوال الوقت، انا ببساطة لا أعتقد أن هذا أمر يمكننا تجاهله ".[1]

إن القناعة المشتركة بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا حول العراق كونه احدى دول محور الشر، كان بمثابة الحافز لهما لممارسة التدخل العسكري حتى من دون قرار أممي ، فعندما طرح "هانز بليكس" Hans Blix* فكرة ان يكون 15 أفريل 2003 موعدا نهائيا لتسوية المسائل العالقة أجابه "كولن باول" Colin Powell بأن "الاوان قد فات"، فبعد أقل من أسبوعين أعدت واشنطن بالتعاون مع كل من بريطانيا واسبانيا مشروع قرار وزعته على اعضاء مجلس الامن في 24 فيفري 2003 نص على إخفاق العراق في التزام "القرار رقم 1441 *وإعلانه في 8 ديسمبر تضمن تصريحات مغلوطة ومعلومات محذوفة وان ذلك شكل تهديدا للسلام والامن الدوليين.[2]

وفي هذا السياق وصف وزير الدفاع الأمريكي " دونالد رامسفيلد" Donald Rumsfeld بريطانيا وحلفائها بأوروبا الجديدة في إشارة منه لتحالفها ضد

---

[1] نفس المرجع، 304.

[*] سياسي سويدي ، شغل مدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية ، وكان ضمن فريق البحث عن اسلحة الدمار الشامل في العراق، أرسل من طرف الامم المتحدة .

[*] صدر في 8 نوفمبر عام 2002، يمنح العراق فرصة أخيرة للامتثال بالتزاماته المتعلقة بنزع السلاح، والا يواجه عواقب خطيرة

[2] ناظم عبد الواحد الجاسور، تأثير الخلافات الامريكية–الاوروبية على قضايا الامة العربية،314.

الإرهاب وكونها في مستوى التطلعات الأمريكية المستقبلية، في حين وصف الموقف المعارض متهكما بأوروبا القديمة.[1]

إن قرار مشاركة بريطانيا في التحالف العسكري ضد العراق لم يكن قرارا ارتجاليا من توني بلير، وإنما إتخذ القرار عبر المؤسسات الرسمية اين : أيد البرلمان البريطاني بالأكثرية مشاركة بريطانيا في العمل العسكري في العراق بموافقة 412 نائبا ومعارضة 149، ما أدى في الأخير بزج بريطانيا إلى طريق الحرب.[2]

تعد بريطانيا ثاني أكبر قوة عسكرية شاركت في حرب العراق ، حيث شكلت رفقة الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من 98% من القوات العسكرية المتدخلة، وهو كما مبين في الشكل :

ت	الدولة	عدد الجنود	النسبة المئوية
1	الولايات المتحدة الامريكية	250.000	%83
2	المملكة المتحدة	45.000	%15
3	كوريا الجنوبية	3.500	%1.1
4	أستراليا	2.000	%0.6
5	الدانمارك	200	%0.06
6	بولندا	184	%0.06

المصدر: عماد هادي علو الربيعي، *العراق والتحالف الغربي 1991-2003* (الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع، 2014)، 138-139

[1] كمال رشيد،"أوروبا القديمة وأوروبا الجديدة"، اطلع عليه بتاريخ 01 جوان 2017، http://alarabnews.com/alshaab/GIF/31-01-2003/a2.htm

[2] فرانك هارفي، تفسير حرب العراق نظرية افتراضية ،311.

إن موقف بريطانيا من حرب العراق لم يفاجئ الباحثين لان تحالفها هو القاعدة وليس الاستثناء، وذلك لترابط العلاقة بينهما ، فكما أشرنا سابقا انها تعرف نفسها على انها أطلسية أكثر من انتمائها لأوروبا، فهي تشترك مع الولايات المتحدة الامريكية مجموعة القيم التي تؤطر سلوكها، كما ان حرب العراق كانت معيارا فاصلا لعلاقة بريطانيا بالولايات المتحدة الامريكية خاصة وان هاته الأخيرة –الحرب– حملت في كثير من الكتابات اسما مشتركا : "الحرب الأمريكية البريطانية على العراق".

خاتمة

خــاتمة :

لكل حِقْبَةٍ زمنية معينة نَمَطٌ خاص يميزها عن غيرها، فإذا كان سَبَبُ الحربين العالميتين الاولى والثانية هو "صِراعُ الْقِوَى" وسِمَتُهَا الأساسية، فإن "الصراع الإيديولوجي" هو ما مَيَّزَ فترة الحرب الباردة. وفي ذات السياق، دَشَّنَ القرن الواحد والعشرون طبيعة جديدة لأسباب الحرب تختلف تماما عن سابقيه، وُصِفَتْ بـ:" الصراع الحضاري"، نِتَاجَ اعتداءات أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001.

من هذا الْمُنْطَلِقُ، فقد أخذت تتفاعل وحدات النِّظَام الدولي وفق الطرح الثقافي حيث شَكَّلَتْ المعايير، والقيم، والأبعاد الثقافية دورا مُهِمًّا في تحديد هوية الدول، التي من خلالها تُعَرِّفُ – الدول– نفسها، وتحدد أصدقائها من أعدائها في السياسة العالمية.

هذا، ولقد شكلت" الحرب على الإرهاب" دَوْرًا هاما لعودة المتغيرات القيمية، وبروز دور الهوية في ضبط التفاعلات الدولية، اين رفضت المانيا حرب العراق بسبب اكتسابها لهوية جديدة بعد الحرب العالمية الثانية، وفي مقابل ذلك نجد تحالف بريطانيا مع الولايات المتحدة الامريكية بناء على هويتها عبر الأطلسية.

إن الدول لا تنخرط في أفعال جماعية فقط لتحقيق مصالحها المادية، وإنما يدفعها إلى ذلك نظرتها للآخر، فتنظر إلى هويتهم، فإذا تقاسمت معهم نفس الهوية تنخرط وتُشَارِكْ، وإلا تَحْجُمُ وتتراجع، ويتضح ذلك في مظاهر مختلفة، سواء في مظهر الأحلاف العسكرية، أو في التكتلات السياسية، وبناء على ذلك تكتلت الدول الاوروبية ضمن الاتحاد الاوربي ولنفس السبب تم رفض انضمام تركيا.

وانطلاقا مما سبق، يمكن التوصل إلى نفس **النتيجة** التي أشارت إليها الباحثة نادية محمود مصطفى حول هذه الأبعاد: (أي الابعاد المتصلة بآثار اختلاف الثقافة

والحضارة على اختلاف الرؤى والقيم و قواعد السلوك والأخلاق، وعلى اختلاف الرؤية للعالم ومعايير التقييم ودوافع السلوك وأسس الهوية) بانها تقوم بـ :

– تقسيم العالم وفق اسس جديدة: (شرق وغرب)،(شمال وجنوب)،(الإسلام والغرب) كل هاته التقسيمات تقوم على التباينات الثقافية، وليس على المحدد الجغرافي؛

– تُحَدِّدُ الثقافة صورة العالم لدى القوى الفاعلة في النظام الدولي، ومن ثم تؤثر في إدراكها وسوء إدراكها للأحداث؛

– تُعْتَبَرُ الأبعاد الثقافية محركة للتفاعلات الدولية و محددة لِنَمَطِهَا، ولحالة النظام الدولي؛

– تُعَدُّ الأبعاد الثقافية عُنْصُرًا تَفْسِيرِيًّا أو تَبْرِيرِيًّا للتحالفات: وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وموقف الدول من محاربة الإرهاب؛

– تُعْتَبَرُ – الثقافة – أداة من أدوات السياسة ومَوْضُوعًا من موضوعاتها؛

– كما أنها– الأبعاد الثقافية– محددًا لخطاب النخب والقاعدة: حيث ان الخطاب السائد ينبثق من مرجعية ذات خلفية حضارية وثقافية؛

– كما تُعْتَبَرُ– الأبعاد الثقافية– مُكَوِّنًا للقوة: حيث أصبحت القوة غير مقتصرة على العوامل المادية، وإنما تجاوزت ذلك بجعل الثقافة إحدى مُكَوِّنَاتُهَا.

قائمة المصادر و المراجع

باللغة العربية:

الـكتب :

01-أحمد، علي سالم. *الأمن الجماعي في جامعة الدول العربية بين النظريات الواقعية والبنائية*. قطر: مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2016.

02- آدم، كوبر. *الثقافة التفسير الأنثروبولوجي*، ترجمة تراجي فتحي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، 2008.

03-أرون، ستلزر، *المحافظون الجدد*. ترجمة فاضل جتكر. السعودية: مكتبة العبيكان ،2005.

04-أسعد، فلاح ابراهيم اللصاصمة. *الديبلوماسية العربية تجاه الازمة العراقية2001-2007*.الأردن: دار جليس الزمان للنشر والتوزيع،2010.

05-الطاهر، بن عريفة. *الجامعة العربية والعمل العربي المشترك 1945-2000*.الاردن: دار زهران للنشر والتوزيع،2010.

06-اليكساندروفيتش تشيكالوف، دينيس وفلاديمير، أليكساندروفيتش كوندراشوف. *تاريخ الثقافة العالمية*، ترجمة عماد طحينة. أبوظبي: هيئة ابوظبي للسياحة والثقافة، 2011.

07-أماني، محمود غانم. *البعد الثقافي في العلاقات الدولية: دراسة في الخطاب حول صدام الحضارات*. القاهرة : برنامج الدراسات الحضارية وحوار الثقافات ،2007.

08- أميم، عبد الجليل و آخرون، *التجربة النهضاوية الألمانية كيف تغلبت المانيا على معوقات النهضة*. مركز نماء للبحوث والدراسات: لبنان، 2014.

09-بخوش، مصطفى. *حوض البحر الابيض المتوسط بعد نهاية الحرب الباردة*. مصر: دار الفجر للنشر وتوزيع،2006.

10-بيلس، جون و سميث، ستيفن. *عولمة السياسة العالمية*. ترجمة مركز الخليج للأبحاث. دبي : مركز الخليج للأبحاث،2004.

11-بيار، كونيسا. *صنع العدو أو كيف تقتل بضمير مرتاح*. ترجمة نبيل عجان. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2015.

12-بير، بيارنيس. *القرن الحادي والعشرين لن يكون امريكي*. ترجمة مدني قصري. لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،2003.

13-تيم، دان وآخرون. *نظريات العلاقات الدولية : التخصص والتنوع*. لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

14- ت.س، إليوت. *ملاحظات نحو تعريف الثقافة*. ترجمة شكري محمد عياد. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.

15-جهاد، عودة. *العلاقات الامريكية الاوروبية بعد 11سبتمبر2001*.مصر: المكتب العربي للمعارف،2015.

16-خالد، موسى المصري. *مدخل الى نظرية العلاقات الدولية*. سورية: دار نينوى،2014.

17-داود أوغلو، أحمد. *العمق الاستراتيجي موقع تركيا ودورها في الساحة الدولية*. قطر: مركز الجزيرة للدراسات،2010.

18-ديفيد، كين. *حرب بلا نهاية وظائف خفية للحرب على الارهاب*. ترجمة معين الامام. السعودية: دار العبيكان، 2008.

19-دنيس، كوش. *مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية*. ترجمة منير سعيداني. لبنان : المنظمة العربية للترجمة،2007.

20-زكي، الميلاد. *المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة*. لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي،2010.

21-سيد أحمد، قوجيلي. *الدراسات الأمنية النقدية*. الأردن: المركز العلمي للدراسات السياسية،2013.

22-شكري، محمود عزيز. *الأحلاف* والتكتلات *في السياسة العالمية*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1978.

23-صامويل، هنتنغتون. *صدام الحضارات*. ترجمة طلعت الشايب. مصر: مكتبة الأسرة،2014.

24-عبد الله، الغذامي. *النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية*. المغرب: المركز الثقافي العربي،2005.

25-عبد الرزاق، الدواي، *في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات*. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2013.

26-عبد السلام، جمة زاقود. *الأبعاد الاستراتيجية للنظام العالمي الجديد*. الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع ،2014.

27-عبد الغاني، عماد. *سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات.. من الحداثة إلى العولمة*. لبنان : مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.

28-عبد القادر، المخادمي. *النظام الدولي الجديد الثابت والمتغير*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،2010.

29-عبد الناصر، جندلي. *التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظريات التكوينية*. الجزائر: دار الخلدونية،2007.

30-عصام، عبد الشافي. *الإمبراطورية الأمريكية*. تركيا: المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتجية،2016.

31-علي، مي قناوي. *الاسباب الاستراتيجية لغزو العراق دراسة تحليلية في السياسة الخارجية الامريكية*. مصر: المكتب العربي للمعارف،2014.

32-عماد هادي، علو الربيعي. *العراق والتحالف الغربي 1991-2001*.الاردن: دار زهران للنشر والتوزيع، 2014.

33-عيسى، وجيدة سمير. *العلاقات الألمانية الإسرائيلية وقضايا الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط*. مصر: المكتب العربي للمعارف،2014.

34-غريفيتش، مارتن و أوكلاهان، تيري. *المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية*. ترجمة مركز الخليج للأبحاث.الامارات العربية المتحدة: مركز الخليج للأبحاث ،2008.

35-فرانك، هارفي. *تفسير حرب العراق نظرية افتراضية وتفسير منطقي مع الأدلة*. ترجمة مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية. الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتجية،2014.

36-ليكس، ميكشيللي. *الهوية*. ترجمة علي وطفة. سوريا: دار الوسيم للخدمات الطباعية ،1993.

37-مالك، بن نبي. *مشكلة الثقافة*. سورية: دار الفكر المعاصر:1984.

38-مايكل ، دينيغ. *الثقافة في عصر العوالم الثلاثة*، ترجمة أسامة الغزولي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،2013.

39-محمود، الذوادي، *مختصر الجدال حول النظرية الاجتماعية*. الولايات المتحدة الامريكية: المعهد العالمي للفكر الاسلامي،2014.

40-مخلد، عبيد المبيض. *الاتحاد الأوروبي كظاهرة اقليمية متميزة*.الأردن: الأكاديميون للنشر والتوزيع،2012.

41-مدحت، أيوب. *الأمن القومي العربي في عالم متغير*.مصر: مكتبة مدبولي،2003.

42-مصطفى منصور، ممدوح محمود. *سياسات التحالف الدولي*. مصر: مكتبة مدبولي،1997.

43-ناظم، عبد الواحد الجاسور. *تأثير الخلافات الامريكية-الاوروبية على قضايا الامة العربية حقبة ما بعد الحرب الباردة*. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية،2007.

44-هارلمبس، وهولبورن. *سوشيولوجيا الثقافة والهوية*، ترجمة حاتم حميد محسن. سورية: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع،2010.

45-هانز، كوندناني. *المعايير الألمانية الجديدة للسياسة الخارجية الألمانية*. ترجمة مركز البيان للدراسات والتخطيط. بغداد: مركز البيان للدراسات والتخطيط، 2017.

46-ونت، الكسندر، *النظرية الاجتماعية للسياسة الدولية*. ترجمة عبد الله جبر صالح العتيبي. السعودية: جامعة الملك سعود، 2006.

الأطروحات والمذكرات :

01-باهي، سمير. "تأثير التحولات الدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة على السياسات الخارجة للدول المغاربية." رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة ،2011.

02- براهيم، أحمد. "الدولة العالمية والنظام الدولي الجديد." اطروحة دكتورة، جامعة السانيا وهران،2010.

03-بشير الشريف، أحمد مكين. "البعد الديني في العلاقات الدولية." رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، 2010.

04-تباني، وهيبة." الأمن المتوسطي في استراتيجية الحلف الأطلسي دراسة حالة: ظاهرة الإرهاب." مذكرة ماجستير، جامعة تيزي وزو، 2014.

05-حمدوش، رياض. "تأثير السياسة الخارجية الامريكية على عملية صنع القرار في الاتحاد الأوروبي." أطروحة دكتورة، جامعة منتوري قسنطينة، 2012.

06-حيدر جاسم، محمد محمود." واقع السياسة الخارجية التركية حيال الاتحاد الأوروبي ومستقبلها." رسالة ماجستير، جامعة الشرق الاوسط ،2014.

07-خالد جميل، عبد الوهاب القطراوي." التحولات في بنية النظام الدولي وأثرها على السياسة الإسرائيلية". رسالة ماجستير جامعة الأزهر غزة،2014.

08-ياسينة مزاني، راضية." مسالة الدفاع الاوروبي بعد حرب كوسوفو." اطروحة دكتورة، جامعة الجزائر3،2011.

09-قسوم، سليم ." الاتجاهات الجديدة في الدراسات الامنية: دراسة في تطور مفهوم الامن عبر منظارات العلاقات الدولية." رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر3، 2010.

10-طبي، لحسن. "السياسة الخارجية التركية بين البعد الديني والبعد العلماني فترة حكم حزب العدالة والتنمية." مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر3، 2015.

11-حموتة، فاطمة."البعد الثقافي في السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي تجاه منطقة المغرب العربي بعد الحرب الباردة." رسالة ماجيستير، جامعة بسكرة،2011.

12-قريب، بلال. "السياسة الامنية للاتحاد الاوروبي من منظور اقطابه –التحديات والرهانات." رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة،2011.

13-عديلة، محمد الطاهر." تطور الحقل النظري للعلاقات الدولية: دراسة في المنطلقات والأسس." أطروحة دكتوراه ، جامعة الحاج لخضر باتنة،2014.

14-مزيان، رياض. "الحلف الأطلسي كأداة لتنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية". رسالة ماجستير، جامعة باتنة،2005.

المجـلات :

01-الحاج علي أحمد، حسن. "العالم المصنوع: دراسة في البناء الاجتماعي للسياسة العالمية." مجلة عالم الفكر المجلد 33(2005):165-189.

02-خالد، موسى المصري. "النظرية البنائية في العلاقات الدولية." مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية المجلد 30،02(2014):313-333.

03-عبد الناصر، محمود سرور." دوافع وتداعيات القرار الاستراتيجي الامريكي باحتلال العراق عسكريا في 2003." مجلة جامعة الأقصى 01(2010):53-78.

04-ستار جبار، الجابري." موقف دول الاتحاد الاوروبي تجاه الاستراتيجية الامريكية في العراق." مجلة دراسات دولية 36:41 -48.

05-علي سالم، أحمد. "القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئا من الماضي." المجلة العربية للعلوم السياسية 20(2008):119-136.

06-مقلد، حسين طلال. "تركيا و الاتحاد الأوروبي بين العضوية والشراكة." مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية 01 (2010):335-395.

07-مقلد، حسين طلال. "محددات السياسة الخارجية والأمنية الأوروبية المشتركة." مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانون 01(2009):619-676.

08-محمد، احمد." الغزو الامريكي –البريطاني للعراق عام بحث في الاسباب والنتائج 2003." مجلة جامعة دمشق 3+4(2004):115-143.

09-محمد، مجدان. "تحديات قيام سياسة خارجية أوروبية موحدة ومؤثرة سياسة أوروبا اتجاه الصراع العربي نموذجا." مجلة الفكر 11(2014):274-294.

10-مصطفى، بخوش. "مضامين ومدلولات التحولات الدولية بعد الحرب الباردة." مجلة العلوم الانسانية 03(2012):161-176.

11-مورتن ، فالبيرون. "الثقافة والعلاقات الدولية-الثقافة في العلاقات الدولية." المجلة العربية للدراسات الدولية 01(2005):05-52.

12-نادية، محمود مصطفى."التحديات السياسية الحضارية الخارجية للعالم الاسلامي." مجلة ثقافتنا للدراسة والبحوث 22(2010):71-102.

13- نادية، محمود مصطفى. "جدالات حوار / صراع الحضارات إشكالية العلاقة بين السياسي – الثقافي في خطابات عربية وإسلامية." مركز الحضارة للدراسات السياسية (2006):01-35.

باللغة الأجنبية:

1- Dirk,Nabers." Culture And Collective Action- Japan ,Germany And The United States After September11,2001" Working Papers Global And Area Studies 09(2005):05-40.

المواقع الإلكترونية :

01-الرشيدي، أحمد." الجامعة العربية: 55 عاما على طريق العمل العربي المشترك." أطلع عليه بتاريخ 25 ماي2017،

http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/ecd3c13c-0b88-43e2-90dd-557f6a5ee2af

02-شلبي، محمد." دور الثقافة في هندسة العلاقات الدولية." المركز المغربي متعدد التخصصات للدراسات الاستراتيجية والدولية. أطع عليه بتاريخ 05 أفريل 2017،

http://www.cmiesi.ma/acmiesi/file/notes/mohamed-chalabi_1.pdf

03-والت، ستيفن." العلاقات الدولية :عالم واحد ونظريات متعددة." أطلع عليه يوم 15أفريل2017،

https://mega.nz/#!Xdgk2bQD!-iH0eIg1rKm-QESjnKWA43MdsgVP4SCmatVqHZYq9AE

04-محمد، محمد يونس علي. "نظرية أفعال الكلام." أطلع عليه بتاريخ 30 ماي2017،

http://takhatub.blogspot.com/2009/10/4.html

05- طلعت، مسلم. "تفعيل وتطوير اتفاقية الدفاع العربي المشترك ومشروع تأسيس قوة عربية مشتركة." اطلع عليه بتاريخ 10 ماي 2017،

www.caus.org.lb/Home/down.php?articleID=5327

06-محمود مصطفى، نادية." بعد11 سبتمبر.. أي مستقبل للنظام الدولي." أطلع عليه بتاريخ 05 جوان2017،

https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=483388

07-ابو غزالة، محمد. "مقارنة بين السياسة الخارجية الألمانية والأمريكية: تباين في المحددات والأهداف." اطلع عليه بتاريخ 20 ماي 2017،

http://bohothe.blogspot.com/2010/05/blog-post_5645.html

08-محمد، ضياء الدين محمد. "اتجاهات العلاقات الدولية بعد احداث 11سبتمبر." أطلع عليه بتاريخ 20 ماي 2017،

/http://www.alukah.net/library/0/59413

09-كمال، رشيد. "أوروبا القديمة وأوروبا الجديدة." اطلع عليه بتاريخ 01 جوان 2017،

http://alarabnews.com/alshaab/GIF/31-01-2003/a2.htm

10-دياب، محمد. "بريطانيا الحائرة بين أوروبا وأمريكا: هل هي حائرة فعلاً؟!." اطلع عليه بتاريخ 01 جوان2017،

http://www.alriyadh.com/22706

11-كوندناني، هانز. "المانيا تودع الغرب وعينها على الشرق." اطلع عليه بتاريخ 08 جوان 2017،

http://www.albayan.co.uk/rsc/print.aspx?id=3360

12-أردوغان، "التحالف الصليبي يمنع عضوية تركيا بالاتحاد الأوروبي الجزيرة." أطلع عليه بتاريخ 01 ماي 2017،

http://www.aljazeera.net/news/international/2017/4/2/%D8%A3%D8%B1%D8%AF%D9%88%D8%BA%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D9%84%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A-%D9%8A%D9%85%D9%86%D8%B9-%D8%B9%D8%B6%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%8A

13-مطاوع، محمد. الغرب وقضايا الشرق الأوسط من حرب العراق إلى ثورات الربيع العربي." أطلع عليه بتاريخ 10 ماي 2017،

http://www.causlb.org/PDF/EmagazineArticles/mustaqbal_426_mhmdmtaw3.pdf

14-خورشيد، حسين دلي." تركيا و قضايا السياسة الخارجية." اطلع عليه بتاريخ 20 ماي 2017،

www.elibrary.mediu.edu.my/books/MAL05953.pdf

15-محمد السيد، نعمه حسن. "العلاقات البريطانية- الأمريكية 1945-1953 دراسة في العلاقات السياسية." اطلع عليه بتاريخ 27 جوان2017،

http://www.alnodom.com/index.php/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D8%A7%D9%85%D8%B9%D9%8A%D8%A9/9010-%26quot%3B%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%80%D9%80%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%86%D9%8A%D9%87-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A%D9%87-1945-1953-%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D9%87-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D9%87%26quot%3B.html

16-نصار، جمال." الهوية الثقافية وتحديات العولمة ." أطلع عليه بتاريخ 20 أفريل 2017،

http://studies.aljazeera.net/mritems/Documents/2015/1/28/201512895226606734Cultural-globalization.pdf

17-"لا تتكلوا علينا في حرب غير قانونية شرودر ينتقد الحرب الأميركية على العراق،" اطلع عليه 18 ماي2017،

http://www.almustaqbal.com/issues/AsisPDF/2004/20-03-04/page13.pdf

18-"بوش يصفح لألمانيا موقفها من الحرب على العراق." اطلع عليه بتاريخ 08 جوان 2017،

http://www.dw.com/ar/%D8%A8%D9%88%D8%B4-%D9%8A%D8%B5%D9%81%D8%AD-%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A7-%D9%85%D9%88%D9%82%D9%81%D9%87%D8%A7-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82/a-1995629

19-المدهون، لؤي. "تحولات السياسة الخارجية الالمانية من التبعية الى الاخذ بعين الاعتبار." اطلع عليه بتاريخ 25 ماي 2017،

http://www.dw.com/ar/%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D8%B0-%D8%A8%D9%8A%D8%AF%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A8%D8%A7%D8%AF%D8%B1%D8%A9/a-1675783

الـفـهـرس

عنوان الموضوع	الصفحة
شكـر وعرفان	//
إهداء	//
خطة الدراسة	//
مقدمة	**19-10**
الفصل الأول: التأصيل النظري لدور العامل الثقافي في الفعل الجماعي	**42-21**
المبحث الأول: النظرية البنائية وتأثير الأفكار	**21**
المطلب الأول: البناء الاجتماعي للسياسة العالمية	**21**
المطلب الثاني: البنائية وتأثير الهوية والمعايير	**27**
المبحث الثاني: الدراسات الثقافية و دور الثقافة في العالم الاجتماعي	**32**
المطلب الأول: تعريف مفهوم الثقافة	**32**
تعريف إدوارد بورنيت تايلور	**34**
تعريف ليزلي وايت	**35**
تعريف كروبير وكلوكهان	**36**
المطلب الثاني: المقاربة الأنثروبولوجية للثقافة	**38**
الفصل الثاني: الفعل الجماعي: دراسة في تشكله ومظاهره	**74-44**
المبحث الأول: المبحث الأول: الفعل الجماعي : دراسة في تَشَكُّلِه	**44**
المطلب الأول: فِعْل الْخِطَاب ودوره في تَشَكُّلِ الفِعْل الجماعي	**44**
المطلب الثاني: الفهم المشترك لبناء الفعل الجماعي	**48**
المبحث الثاني: البعد الثقافي كمحدد للفعل الجماعي في الاتحاد الأوروبي	**53**
المطلب الأول: أثر البعد الثقافي في تكتل الدول الأوروبية	**53**
المطلب الثاني: الرفض الأوروبي لانضمام تركيا للاتحاد	**59**
المبحث الثالث: البعد الثقافي كمحدد للفعل الجماعي في الأحلاف	**65**
المطلب الأول: حلف شمال الأطلسي من منظار ثقافي	**65**
المطلب الثاني: القومية العربية كمحدد للحلف العربي	**71**
الفصل الثالث: محاربة الإرهاب بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 "دراسة في حرب العراق"	**110-76**
المبحث الأول: تأثير النظام الدولي الجديد على العلاقات بين الدول	**76**
المطلب الأول: النظام الدولي الجديد	**76**

تحولات النظام الدولي	77
ملامح بروز النظام العالمي الجديد	78
آليات تحقيق النظام العالمي الجديد	79
خصائص النظام الدولي الجديد	81
المطلب الثاني: تأثيرات أحداث 11 سبتمبر على النظام الدولي	84
استراتيجية الامن القومي الأمريكي 2002	86
المبحث الثاني: ألمانيا ورفضها لحرب العراق	89
المطلب الأول: الهوية الألمانية الجديدة	89
المطلب الثاني: الرفض الالماني لحرب العراق	94
الموقف الالماني من الحرب على الإرهاب	94
أسباب الحرب الأمريكية على العراق	95
مبررات رفض ألمانيا المشاركة في حرب العراق	95
قرار الحرب بوصفه انتهاك للشرعية الدولية	95
رفض التدخل العسكري	96
غياب الادلة الكافية ، وتكييف الولايات المتحدة الامريكية للحرب	97
الرفض الشعبي –غير الرسمي– للحرب	98
المبحث الثالث: تأييد بريطانيا لحرب العراق	101
المطلب الأول: الهوية البريطانية–الاطلسية	101
المطلب الثاني: مشاركة بريطانيا لحرب العراق	106
عدد القوات العسكري البريطانية المشاركة في الحرب	109
خاتمة	105
قائمة المراجع	107
فهرس الموضوعات	118
الملخص	121

الملخص :

لقد أَسَّسَتْ نهاية الحرب الباردة، لمرحلة جديدة في العلاقات الدولية تقوم على إعادة النظر في الأبعاد القيمية خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، حيث بدأت السياسة العالمية تتشكل وُفِق خطوط ثقافية. فحسب صمويل هينتنغتون أن الحدود السياسية يُعاد رَسْمُهَا لكي تتوافق مع الحدود الثقافية، لذا فإن الشعوب والدول ذات الثقافات المتشابهة تتقارب، والشعوب والدول ذات الثقافات المختلفة تتباعد.

وقد تم التَّعَمُّقُ في هذا الْبُعْد– الثقافي– من خلال دِرَاسَتِهِ،عَقِبَ أحداث الحادي عشر من سبتمبر وتأثيراته على الواقع الدولي، وُفْقَا لِلْأُطُرِ النظرية التي تُولِي اِهْتِمَامًا بهذا الجانب، فقد تم معالجته ضمن الدراسات الثقافية التي تبحث في السياسة العالمية من مِنْظَارٍ ثقافي، من جهة، ومن جهة أخرى عالجت النظرية الْبَنّائِيَّة تأثيرات المعايير والقيم ودورها في تَشَكُّلِ الْفِعْل الجماعي، وفي ذات السياق تُعَدُّ النظرية الْبَنّائِيَّة أهم نظرية تطرقت إلى الهوية كونها الدافع لتبني الدول سياسة معينة في قضايا محددة، على سبيل المثال رفض الاتحاد الأوربي إنظام تركيا للاتحاد.

ومن ثم، فإن الإطار النظري قدم تفسيرات – ثقافية– حول أسباب الحرب على الإرهاب، وتفسيرات هوياتية لنمطين مختلفين في حرب العراق، أين رفضت ألمانيا الفعل الجماعي،بالمقابل شاركت بريطانيا الحلف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

يمكن القول أن عالم اليوم تحل فيه المجتمعات الثقافية محل تكتلات الحرب الباردة، وخطوط التقسيم بين الحضارات أصبحت هي الخطوط الرئيسية في السياسة العالمية.

الكلمات المفتاحية:

صراع الحضارات / الثقافة / الهوية / الفعل الجماعي / البنائية.

Résumé:

La fin de la deuxième guerre mondiale a permit la mise en place d'une nouvelle phase dans les relations internationales. Cette phase consiste a un examen de la valeur dimensionnelle, particulièrement suite a l'effondrement de l'Union Soviétique .C'est ainsi que la politique mondiale a commencé de se former selon des lignes culturelles. D'âpres Samuel Huntington les frontières politiques se dessinent pour qu'elles soient compatibles avec les frontières culturelles, c'est pour cette raison, que les pays et les peuples qui ont des cultures similaires se rapprochent, contrairement aux pays dont les cultures sont différentes, ils se divergent.

Cette dimension « culturelle » a été profondément étudiée suite aux événements du 11 septembre, et ses répercussions sur la situation internationale. Selon le cadre théorique qui donne une grande attention a ce coté, ce dernier a été traité au sein des études culturelles qui se spécialisent dans la politique mondiale d'un point de vue culturelle d'un coté, et d'autre coté , le traitement de la théorie structurale des effets des normes et des valeurs et ses rôles dans la formation de l'action collective. Sur le même plan la théorie structurale se considère comme la théorie fondamentale qui a touché a l'identité comme le moyen pour que les nations construisent leurs propres politiques dans des questions spécifiques. A titre d'exemple la rejet de l'union européenne l'adhésion de la Turquie.

C'est ainsi que le plan théorique a donné des explications « culturelle » sur les causes de la guerre contre le terrorisme, des explications d'ordre identitaire qui ont différencié entre deux types dans la guerre de l'Iraq, ou l'Allemagne a refusé l'action collective ,par contre la Bretagne a participé sous la direction de états unies.

Nous pouvons dire que le monde d'aujourd'hui est basé spécialement sur la collaboration culturelle entre les sociétés, contrairement à la période de la deuxième guerre mondiale. C'est ainsi que les lignes de division entre les civilisations sont devenues les lignes fondamentales dans la politique mondiale.

Mots clés

Conflits des civilisations / la culture / l'identité / l'action collective.